مزارع العنب

محمود سالم

مزارع العنب

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

مزارع العنب

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ١ ٢٦٤٩ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٣.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
الصراع ... في الفضاء!	١١
الشياطين ... في غابة «الجارون»!	١٥
الصراع عند طرف الغابة!	٢١
عندما اختفى دكتور «بالم»!	٢٧
«بالم ٢» في خطر!	٣٣
العصابة تخطف دكتور «بالم»!	٣٩

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

الصراع ... في الفضاء!

حقَّق الشياطين انتصارًا رائعًا عندما حملوا معهم «رجل المستقبل» الذي استطاع دكتور «بالم» أن يصنعه. لقد دخل الشياطين في صراع مع هذه العصابة الغريبة التي استطاعت أن تبث أحد أعوانها، ليشترك مع الدكتور «بالم» في اختراعه المذهل؛ فقد استطاع «بالم» أن يصنع رجلًا آليًّا مُطابقًا له في الشكل تمامًا، حتى إنَّه كان من الصعب أن يقوم أحد بالتمييز بينهما. ولقد أطلق عليه اسم «بالم ٢». أما الدكتور «بالم»، فهو «بالم ١». إن وجه الخلاف بينهما، هو أن «بالم ٢» لم يكن يتأثَّر بشيء، فليست له عواطف الإنسان. فهو لا يغضب ولا ينفعل، لكنه يمكن أن يتصرَّف ويفكر كما يفكر الإنسان تمامًا؛ تبعًا للجهاز الدقيق الذي وضعه مخترعه دكتور «بالم». لقد كان صراعًا عنيفًا، انتهى بأن أخذ الشياطين «بالم الأصل» و«بالم الصورة»، وانطلقوا بطائرتهم الخاصة إلى المقر السري.

كان الشياطين سعداء بانتصارهم، والطائرة تُحلق على ارتفاع ٤٠ ألف قدم، غير أن الأكثر سعادةً، كان دكتور «بالم» نفسه؛ فقد اكتشف أمام صراع الشياطين مع العصابة أنه كان ضحيَّة، وأنَّه كان سيتسبَّب في قيام عصابة خطيرة باكتشافه المثير. كان «بالم ١» يضحك سعيدًا ... وكان «بالم ٢» ينظر لهم بوجه جامد ... لكن فجأة، جاء صوت كابتن الطائرة يقول: إنَّنا أمام عاصفة شديدة سوف تضطرُّنا إلى الهبوط قليلًا، وسوف نطير على ارتفاع ٢٠ ألف قدم فقط!

نظر الشياطين إلى بعضهم، فقد كانوا يخشون أن تتغيَّر الأحوال الجوية، فيضطرون إلى الهبوط في أي مكان. لكنَّ قلقهم لم يستمر؛ فقد كان «بالم» يتحدث إليهم عن مراحل اختراعه، وعن أول يوم ظهرت فيه ملامح «بالم ٢». استغرق الشياطين في الاستماع إلى العالم «بالم»؛ فقد كان يملك القدرة على السرد والحكاية، بجوار أن الاختراع كان مثيرًا في حد ذاته! قال «بالم» سعيدًا: كانت مراحل التطوُّر مثيرة، لكنَّها كانت تحدث ببطء شديد ...

صمت لحظةً، ثم قال: إنَّ هذه التجربة كانت تحتاج إلى نفقات كثيرة، بجوار أنه لا بُدَّ من تكرارها؛ حتى يمكن إضافة أفكار أخرى إليها، لكني — في نفس الوقت — كنت أخشى أن أقول شيئًا لأحد …

فجأةً، توقف عن الكلام؛ فقد ارتجَّت الطائرة بعنف، وكاد الشياطين يقعون من مقاعدهم، إلا أنَّهم كانوا يربطون الأحزمة منذ كلام قائد الطائرة. انتظروا قليلًا ليعرفوا السبب، ولم تمضِ دقيقة، حتى كان صوت قائد الطائرة يقول: لقد نزلنا في مطب هوائي! …

بعد قليل، اعتدلت الطائرة، وعاد كلُّ شيء إلى طبيعته. قال دكتور «بالم» مبتسمًا: لا بأس؛ إنَّها رحلة مثيرة، وإن كانت أقلَّ إثارة من صراع العصابة!

قال «أحمد»: بل الأكثر إثارة هو اختراعك العظيم! …

هزَّ «بالم» رأسه شاكرًا، ثم قال: هل تسمعون بقية الحديث؟ …

قال «مصباح»: بالتأكيد … إن ما نسمعه لا يمكن أن يرقَى إليه أي حديث آخر.

ابتسم «بالم» مرَّة أخرى: إن أخطر ما حدث في التجربة، هو ذلك اليوم الذي بدأت فيه عمليَّة التجميع، ثم ظهور صديقي العزيز «بالم ٢».

قال «خالد»: إنها لحظة غريبة!

ردَّ «بالم»: بالتأكيد. لقد أصابتني حالة من الذهول؛ فلم أكن أتصوَّر أن يصل اختراعي إلى هذه اللحظة، حتى إنَّني فكَّرت بعدها أن أتخلَّص منه.

نظر له «عثمان» مبتسمًا، وقال: هل يمكن أن تتخلَّص من صديق عزيز؟ …

قال «بالم ١»: صدِّقني؛ لقد كانت لحظةً غريبة!

فجأةً أضيئَت لمبة حمراء في أعلى الطائرة، فقال «باسم»: هناك شيء غير عادي!

أُطفئت اللمبة، ثم عاد الضوء من جديد، فقال «أحمد»: نعم، هناك شيء غير عادي! …

تركهم واتجه إلى مُقدمة الطائرة؛ حيث يوجد طاقم القيادة. كانوا يجلسون في هدوء، وإن كانت أعينهم مُعلَّقة بشاشة الرادار. همس «أحمد»: هل هناك شيء؟ …

ردَّ قائد الطائرة في هدوء: إنَّنا مطاردون …

فكَّر «أحمد» بسرعة، ثم قال: متى بدأت المطاردة؟ …

قال الكابتن: منذ خمس دقائق …

سأل: أين نحن الآن بالضبط؟ …

أجاب الكابتن: إنَّنا فوق المحيط الأطلنطي، ونقترب من خليج «بسكي». …

قال «أحمد»: نحن إذن في طريقنا إلى فرنسا. سكت لحظةً، ثم قال: إن أمامنا حوالي نصف ساعة، حتى ندخل في حدود فرنسا. هناك إذن متَّسع من الوقت.

سكت قليلًا، ثم قال: سأعود إليكم حالًا.

انصرف بسرعة مُتَّجهًا إلى الشياطين، الذين كانوا ينتظرون عودته.

سأله «خالد»: هل ...؟ وقبل أن يُكمل سؤاله، كان «أحمد» قد قال بلغة الشياطين: ربَّما ندخل في معركة جوية! ... صمت لحظة، ثم قال: إن «بالم» يجب ألا يعرف شيئًا.

نظر إلى «بالم»، ثم تحدَّث إليه بالإنجليزيَّة: سوف نستأذنك لحظةً؛ إنَّ لدينا عملًا قد يستغرق عدَّة دقائق فقط.

ابتسم «بالم» وهو يقول: لا بأس. إنَّني أثق في تفكيركم تمامًا ...

انسحب الشياطين إلى مؤخرة الطائرة؛ حيث عقدوا اجتماعًا سريعًا. شرح «أحمد» الموقف الذي تتعرَّض له الطائرة، وعملية المطارَدة، ثم قال في النهاية: إنَّ الطائرة المُطارِدة ربما تكون قد أقلعت من قاعدة بحريَّة. ومن المؤكد أنَّها تابعة للعصابة؛ فهي لا يمكن أن تُسلم ببساطة في ضياع دكتور «بالم» أو اختراعه.

سكت، فقال «خالد»: هل يمكن أن نتعرَّض لقذائف أو صواريخ مثلًا؟! ...

قال «أحمد»: لا أظن. إنَّهم سوف يُحافظون على طائرتنا؛ لأنَّها تحمل ما يريدون الحصول عليه، وهو دكتور «بالم» وربَّما نحن أيضًا؛ فهزيمتهم قد كشفت قوَّة من يقوم بصراعهم. سكت لحظةً، ثم قال: إن المهمَّ في العمليَّة كلها، أن نصل إلى «باريس». والذي أخشاه، أن يضطرُّونا إلى الهبوط في مكان خاص بهم.

قال «باسم»: إنَّهم لن يستطيعوا ذلك؛ لأننا لن نستجيب لهم ...

قال «أحمد»: بل إنَّهم يستطيعون؛ ولذلك ينبغي أن تكون لدينا خُطَّة إنقاذ «دكتور بالم» وشبيهه. لقد فكَّرتُ في أن نقوم بعمليَّة إسقاط على شواطئ خليج «بسكي»، داخل الحدود الفرنسيَّة. إن ذلك يحدث على فترات متعاقبة؛ حتى نستطيع أن نُضلِّلهم. إنَّنا خمس، يُضاف إلينا دكتور «بالم ١» و«بالم ٢». يمكن أن أقفز ومعي «بالم ١»، ويقفز «خالد» ومعه «بالم ٢»، ثم يقفز «باسم» و«إلهام» معًا، ثم «عثمان» وأحد بحارة الطائرة. في هذه الحالة لن يستطيعوا اكتشاف «بالم»؛ لأنه يمكن أن يكون أي واحد. وفي هذه الحالة تستمر الطائرة في طريقها للنُّزول في أحد مطارات فرنسا، في باريس أو غيرها. وهذا يتوقَّف على تصرُّف الكابتن «ن» قائد الطائرة، وفي الأرض نستطيع أن نُحقِّق كلَّ شيء.

سكت «أحمد»، ونظر الشياطين إلى بعضهم. قال بعد لحظة: لقد عرضت وجهة نظري، وأنتظر مناقشة الخُطَّة. كان قد مضى نصف الوقت في الحوار، وبسرعة كان الشياطين قد وافقوا على خُطَّة «أحمد»، فقال: سوف أُبلِغ الكابتن «ن» بالخُطَّة؛ حتى يُحقِّق السرعة المطلوبة للإنزال، وحتى يضع خُطَّته هو الآخر؛ لاستمرار الطيران.

عاد الشياطين إلى منتصف الطائرة؛ حيث يجلس «بالم ١» و«بالم ٢». في نفس الوقت الذي استمر فيه «أحمد» في طريقه إلى مُقدِّمة الطائرة؛ حيث يوجد طاقم القيادة. شرح للكابتن «ن» خُطَّة الشياطين. غير أن الكابتن لم يكن منتبهًا تمامًا؛ فقد تركَّزَت عينيه على شاشة الرادار، فقال: إنَّهم يضطرُّوننا إلى النزول في الخليج.

قال «أحمد»: إذن، لقد حانت لحظة الإنزال. ومن جديد، بدأ يشرح خطَّة الشياطين، وكان الكابتن يُصغي بانتباه، فقال في النهاية: إنها خُطة طيبة.

نظر إلى أحد أفراد الطاقم بجواره، ثم قال: كابتن «م»، سوف تصحب الزُّملاء في رحلة الإنزال. وفي لحظة، كان الكابتن «م» قد انصرف للاستعداد. في نفس الوقت، قال الكابتن «ن»: سوف أستمرُّ في الطيران، دون أن أُحقِّق ما يُفكِّرون فيه. إن النقطة «هـ»، هي أصلح نقطة لأوَّل إنزال؛ لأنَّها تقع على شاطئ الخليج مباشرةً، بعد حوالي نصف كيلو متر. وهذه منطقة طيبة. نظر لحظةً إلى «أحمد»، ثم أكمل: أظنُّ أنكم حدَّدتم فترات الإنزال!

ردَّ «أحمد»: نعم، بما يكفي لأن نكون على اتِّصال ببعضنا، وأن نستطيع التجمُّع بسرعة. قال كابتن «ن»: إذن، سوف أُصدِر لكم إشارةً إلى أول إنزال؛ فاستعِدُّوا ...

انصرف «أحمد» بسرعة، إلى حيث يوجد الشياطين. كانوا جميعًا قد استعدُّوا، ولبسوا المظلات، غير أن دكتور «بالم»، الذي كان يُساعده «خالد» في تثبيت حمَّالات المظلَّة، نظر إلى «أحمد» متسائلًا. فردَّ «أحمد» بابتسامة هادئة. حتى إن «بالم» قال: إنَّني أثق فيكم تمامًا؛ فقط أريد أن أعرف. نظر له «أحمد» لحظة نظرة هادئة، فقال «بالم»: لقد فكَّرتُ في ذلك؛ إنني أعرف أنهم لن يسكتوا. سوف يُطاردوننا إلى آخر العالم. فهذه فرصة ذهبية لهم ...

قال «أحمد» في إصرار: لكنَّهم لن يستطيعوا ...

ابتسم «بالم»، وقال: إنَّني أثق في ذلك تمامًا!

كان كلُّ شيء قد أُعد، وأصبح الشياطين في انتظار إشارة كابتن «ن». وقفوا في طابور مزدوج بجوار الباب، الذي سوف يُفتح مع الإشارة التي يُعطيها الكابتن. كان «أحمد» بجواره دكتور «بالم ١»، و«خالد» بجوار «بالم ٢»، و«باسم» و«إلهام» معًا، ثم «عثمان» وكابتن «م». مرَّت لحظات قلقة، نظر «أحمد» في ساعة يده، ثم ضغط أحد الأزرار الدقيقة فيها، وهمس: إنَّنا نقترب من اللحظة. فجأةً، أُضيئت اللمبة الحمراء، فنظر الشياطين إلى بعضهم. كانوا في حالة انتظار للقفز، إلا أن باب الطائرة لم يفتح ... لقد كان هناك شيء ما ...

الشياطين ... في غابة «الجارون»!

انتظر الشياطين قليلًا، في انتظار أيِّ إشارة من الكابتن «ن»، إلا أن شيئًا لم يحدث. همس «أحمد»: سوف أرى! ...

تحرَّك بسرعة إلى مقدِّمة الطائرة؛ حيث طاقم القيادة. لمح على وجوههم حالةً من الفزع، فسأل: ماذا حدث؟! قال كابتن «ن»: لقد ركبوا الطائرة!

فهم «أحمد» ماذا يقصد كابتن «ن». فمعنى ركوب الطائرة أنَّهم أصبحوا يطيرون فوق طائرة الشياطين. وهذا يعني أن طائرة العصابة تملك قدرة التحكُّم فيهم الآن، وأن على طائرة الشياطين أن تُنفذ تعليماتهم. وهذا يعني أيضًا في النهاية أن الشياطينَ، ودكتور «بالم»، و«اكتشافَه» في أيدي رجال العصابة. قال كابتن «ن» بعد لحظة: أفكِّر في أن أشتبك معهم. لم يرد «أحمد» بسرعة؛ فقد كان القرار الآن صعبًا، لكن فكرة لمعت في ذهنه، وإن كان لم يقلها مباشرة. غير أنه قال: ينبغي ألا ندخل معهم في صراع؛ لأنهم إذا شعروا باليأس؛ فسوف يُفجِّرون طائرتنا؛ حتى لا يبقى منَّا أحد. سكت لحظة، ثم قال: ينبغي أن نعطيهم بعض الأمل. فجأة، وصلت رسالة إلى الطائرة ... وكان مصدر الرسالة طائرة العصابة. كانت الرسالة تقول: استعدَّ للنزول على شاطئ خليج «بسكي» ... وإلا فسوف تتعرَّض طائرتكم للخطر ... نقل كابتن «ن» الرسالة إلى «أحمد»، الذي قال مبتسمًا: هذا ما فكَّرتُ فيه فعلًا. لقد فكَّرت أن نرسل لهم رسالة تقول إن الوقود عندنا ينتهي عند شاطئ الخليج، ولا بُدَّ أن ننزل هناك؛ فنحن قد رسمنا خُطَّتنا على هذا الأساس ... قال الكابتن: إن تحديدهم لمكان النزول، يعني أنَّهم قد أعدُّوا كلَّ شيء؛ لنقع في قبضتهم ... ردَّ «أحمد»: هذا صحيح ...

سكت، ثم أضاف: إن صراعنا معهم على الأرض يُمكن من خلاله تحقيق شيء، لكننا الآن لا نملك سوى الخوف على دكتور «بالم». نظر له الكابتن لحظة، في نفس الوقت الذي جاءت فيه رسالة أخرى: «لا داعيَ للسكوت؛ أنتم محاصرون تمامًا.»

قال «أحمد» بعد أن عرف الرسالة: تحدَّثْ إليه مباشرة، حتى نكسب بعض الوقت؛ فنحن قد اقتربنا تمامًا من الخليج ... نفَّذ كابتن «ن» فكرة «أحمد». سألهم: هل تتبع طائرتكم سلاح الجو الفرنسي؟ ردت طائرة العصابة: لا داعي للأسئلة؛ إنَّ الوقت يمرُّ. ولا يجب أن تدفعونا إلى استخدام القوَّة ...

أمسك «أحمد» الميكروفون من يد كابتن «ن»، ثم أخذ يحاور قائد طائرة العصابة. قال: هل هناك مكان مُمهَّد للنُّزول؟ ... ردَّت الطائرة: نعم، هناك مكان.

قال «أحمد»: إن طائرتنا تحتاج إلى ممر خاص للنُّزول؛ وإلا فربَّما تتعرَّضون لكارثة في الجو.

نظر «أحمد» إلى كابتن «ن»، وقال: ينبغي أن ننزل، لكن في مكان آخر غير الذي يريدونه ...

لمعت عينا الكابتن «ن»، وقال: هذه فكرة طيبة. إن ذلك في النهاية يُحقِّق خُطَّتكم في عملية الإنزال.

ردَّ «أحمد» على قائد العصابة: سوف ننفِّذ التعليمات؛ سيكون نزولنا على خطَّي صفر و٣٠، عند مصب نهر «الجارون» ... لم ترد طائرة العصابة، فقال «أحمد»: إذن ينبغي أن ننزل في منطقة أخرى، ولتكن أبعد درجةً أو درجتين. إنَّ نزولنا في منطقة نهر «الجارون» سوف يفيدنا كثيرًا؛ لأنَّها منطقة غنية بالنباتات. ... قال كابتن «ن»: هذا صحيح، بجوار أن الطرق الأسفلتيَّة سوف تكون ممرَّات طيبة لنزول الطائرة بسلام؛ هذا إذا كان ضروريًّا أن ننزل. ... سكت لحظةً، ثم قال: استعدُّوا؛ فنحن على وشك الوصول. تحرك «أحمد» بسرعة إلى حيث كان الشياطين ينتظرون (وقد سيطر عليهم القلق!). شرح لهم ما حدث بإيجاز، ثم قال في النهاية: يجب أن نكون على استعداد للنُّزول ... مضت عشر دقائق، ثم لمعت اللمبة الحمراء ثلاث مرَّات متوالية. كانت هذه هي الإشارة المتفق عليها. فُتح باب الطائرة، فقفز «أحمد»، وخلفه مباشرة قفز دكتور «بالم». مرت دقيقة لينزل «خالد» وخلفه «بالم ٢»، ثم «باسم» و«إلهام»، وأخيرًا «عثمان» وكابتن «م». كان الجوُّ صَحوًا؛ ولهذا لم تكن عملية الهبوط صعبة. وإن كان دكتور «بالم» قد أُصيب بالفزع الشديد؛ فهذه أول مرة يتعرَّض فيها لمثل هذا الموقف. رفع «أحمد» عينيه؛ ليرى طائرة الشياطين، التي كانت قد بدأت تختفي، في نفس اللحظة التي كانت طائرة العصابة تتبعها.

كانت هذه مسألة مُحيِّرة لـ «أحمد»؛ فماذا يعني مطاردة طائرة العصابة لطائرة الشياطين إذا كانوا الآن في الفضاء؟ ... غير أنَّه لم يشغل فكره بالبحث عن إجابة. لقد كان

عليه أن يُفكر فيما سوف يحدث الآن. نظر حوله؛ كانت المظلات كلها مفتوحة، وهي تأخذ طريقها إلى الأرض. نظر إلى أسفل، فرأى الحقول الممتدة تحته. وعلى مشارف الحقول؛ كانت تبدو ككتلة خضراء. عرف أنَّها غابة، وفي نفس الوقت الذي كان يبدو فيه نهر «الجارون» وهو يشق الحقول.

فكَّر «أحمد»: هل يمكن أن يجد أفراد العصابة في انتظار الشياطين؟ ... لكنَّه لم يسبق الحوادث، فقد قال في نفسه: سوف نتعامل مع الواقع عندما نصبح على الأرض ... كانت عيناه معلقتَين بمظلَّة دكتور «بالم» الذي كان يهبط قريبًا منه. إن دكتور «بالم» هو أصل المغامرة كلها، ودكتور «بالم» لن يستطيع التعامل مع العصابة؛ ولهذا فهي مُهمَّة «أحمد». في نفس الوقت، إنَّ «خالد» يقوم بمهمة حماية «بالم ٢»، أمَّا الباقون فيعرفون كيف يحمون أنفسهم. فجأة سمع «أحمد» طائرة. دارت عيناه تبحث في الفضاء عن مصدر الصوت، فكَّر بسرعة: هل يمكن أن تكون العصابة قد أرسلت إليهم طائرة أخرى؟ أو أنها الطائرة التي تطارد طائرة الشياطين؟ ... ظهرت الطائرة من بعيد، ولم يستطع «أحمد» تحديد نوعها، غير أنَّه قبل أن تمضي دقائق، حتى كانت ابتسامة قد ظهرتْ على وجهه؛ فقد حدَّد نوع الطائرة. كانت طائرة رُكَّاب عاديَّة، إلا أن الابتسامة التي ظهرت على وجهه اختفت بنفس السرعة التي اختفت بها طائرة الركاب؛ فقد ظهرت في أعقابها طائرة هليكوبتر. كانت تبدو من بعيد وكأنَّها حيوان خرافي مُعلق في الفضاء ... نظر إلى الأرض؛ كان قد اقترب فعلًا منها، وبدأ يستعدُّ ليتلقَّى صدمة الأرض. في نفس الوقت كان يُفكر: كيف يستطيع دكتور «بالم» النُّزول حسب القواعد التي تدرَّب عليها الشياطين؟ ... كان يُفكِّر أيضًا: هل يمكن فقد دكتور «بالم» في هذه العملية؟ اقتربت الطائرة الهليكوبتر.

قدَّر «أحمد» المسافة بينه وبين الأرض، ثم بين الطائرة والأرض. عرف أن ذلك يحدث في وقت واحد. إن الطائرة تستطيع أن تنزل في أي مكان. لكن من حسن الحظ؛ لقد كان نزول الشياطين على مشارف الغابة.

أي إن بعض السرعة في الحركة يمكن أن يُعطيهم فرصة الاختباء في الغابة، بدلًا من وقوعهم في أيدي رجال العصابة. أخذت المسافة تقل شيئًا فشيئًا، حتى لم يعُد هناك سوى متر. كان الهواء الذي بدأ ينشط قد دفع دكتور «بالم» قريبًا من «أحمد»، فاستطاع أن يتحدَّث إليه ... شرح له بسرعة كيف يمكن أن ينزل في بساطة، وكيف يتلقَّى لحظة الاصطدام. ابتسم دكتور «بالم» ابتسامة شاحبة وهو يقول: سوف أرى؛ إنَّها على كل حال تجرِبة مثيرة، وربَّما أكثر إثارة من اكتشاف «رجل المستقبل» ... كانت قدَمَا «أحمد»

قد أوشكت على أن تلمس الأرض، عندما وقعت عيناه على مشهد جعله ينسى أنَّه سوف يصطدم بالأرض. لقد شاهد إحدى المظلات تنزل فوق الأشجار. حاول أن يُحدِّد أحدًا من الشياطين، لكنَّه لم يستطِع. قال في نفسه: سوف تحدث كارثة. إنَّ النُّزول فوق الأشجار يؤدي إلى النهاية! ... لكنَّه لم يستمر في أفكاره؛ فقد اصطدمت قدماه بالأرض، إلى درجة أنَّه سقط بقوَّة جعلته يشعر بالألم. لكنَّه استطاع أن يستجمع قواه بسرعة؛ لأنه لم تكن هناك فرصة يُضيِّعها. قام بسرعة، وعيناه تبحثان عن دكتور «بالم»، الذي سقط قريبًا منه. كان يبدو مُكَوَّمًا بلا حركة، وقد التفَّت حوله المظلَّة التي تعبث بها الرياح. تخلَّص من مظلته بسرعة، وقفز في اتجاه «بالم». كان يُفكِّر: هل انتهى كلُّ شيء، وهل يمكن أن يقع الشياطين في أيدي رجال العصابة؟

في نفس اللحظة التي اقترب فيها من دكتور «بالم»، كانت الطائرة الهليكوبتر تبرق. ولامست عجلتاها الأرض. انحنى على دكتور «بالم»، الذي كان يَئنُّ من الألم ... أمسك بذراعه، وحاول أن يُوقفه، إلا أن «بالم» نظر له في رجاء، وهمس بصوت واهن: أرجوك اتركني؛ إنني لا أستطيع الحركة ... نظر «أحمد» حوله بسرعة. كانت بداية الغابة قريبة بدرجة يستطيع معها أن يختفي هو و«بالم». جذب «بالم» جذبة قوية، فأصبح فوق كتفيه، وحمله وأسرع إلى الغابة. كان رجال العصابة قد نزلوا من الطائرة، ودوَّت حوله طلقات الرَّصاص؛ إلا أنه قفز وهو يحمل «بالم» قفزة واسعة جعلته داخل أشجار الغابة الكثيفة. كانت الطلقات لا تزال تُدوِّي حوله. أنزل «بالم» بسرعة على الأرض، ثم قفز بجواره. كان «بالم» قد بدأ يستجمع قواه هو الآخر، بعد أن سمع طلقات الرَّصاص. همس: هل وصلوا؟ ... قال «أحمد» بسرعة؛ حتى يجعل «بالم» أكثر استعدادًا للحركة: يبدو أنهم يحاصرون الغابة الآن ... لمعت عينا «بالم»، وظهر عليه الخوف، وقال: هل تعرف أنني سوف أقع في أيديهم؟

ابتسم «أحمد» ابتسامة هادئة، وقال: هل تثق ...؟ وقبل أن يكمل جملته، كان «بالم» يقول: أثق تمامًا. صمت لحظةً، ثم أضاف: ما الذي تريده منِّي الآن؟ ...

كانت إجابة «بالم» بالنسبة لـ «أحمد» الآن ضروريَّة. فقال: ينبغي أن نُسرع إلى أعماق الغابة؛ حتى تكون فرصة المغادرة أمامنا واسعةً ... تحرَّك «بالم» خلف «أحمد»، الذي كان يحاول ألا يصدر أي صوت عنه، خصوصًا وأنَّ أوراق الأشجار كانت قريبة وكثيفة، حتى إنَّها لا بُدَّ أن تُصدر أصواتًا؛ نتيجة الاحتكاك بها. ظلَّا في تقدُّمهما حتى قطعا مسافة طيبة. وقف «أحمد» ينظر حوله. كانت هناك كتلة من النباتات الكثيفة تقع أمام عينيه. فكَّر

لحظة ثم اتَّجه إليها. وقف أمامها يُفكِّر من جديد: هل يمكن أن تلفت نظرهم، فيفتشون داخلها؟ ... تقدَّم إليها ودخلها. كانت تبدو وكأنَّها قد جُهزت للاختفاء فعلًا ... نظر من خلال الأشجار، فاكتشف أنَّه يستطيع أن يراقب كل الاتجاهات جيِّدًا. همس يُنادي «بالم» الذي اندسَّ بسرعة بين النباتات، حيث انضمَّ لـ «أحمد». فكَّر «أحمد»: الآن يجب أن أطمئنَّ على بقيَّة الشياطين، خصوصًا هذه المظلَّة التي نزلت فوق الأشجار ... أخرج جهاز الإرسال الدقيق، في الوقت الذي كان «بالم» يراقبه.

همس له «أحمد»: لا تشغل نفسك فيما أفعل الآن؛ فسوف تعرف كلَّ شيء فيما بعد ... إن عليك أن تُراقب نصف الاتِّجاهات، وأراقب أنا النصف الآخر ... تحرَّك «بالم»، حتى أصبح ظهره ملاصقًا لظهر «أحمد»، وأصبح وجودهما هكذا كافيًا لمراقبة كل الاتجاهات.

أسرع «أحمد» بإرسال رسالة موجزة للشياطين. كانت الرسالة: الرسائل بالشفرة؛ فنحن محاصرون ... انتظر لحظات، ثم بدأت الرسائل. جاءت رسالة من «باسم»: «عُلِم.» ... ورسالة من «عثمان»: «عُلِم.» ... كانت الرسائل تدفع الاطمئنان إلى قلب «أحمد». ظلَّ ينتظر أهمَّ رسالة، تلك الرسالة التي يرسلها «خالد»؛ لأنه مسئول عن حماية «بالم ٢»؛ إلا أن رسالة «خالد» لم تصل! أرسل رسالة شفرية إلى الشياطين: «٣ – ٢١ – ١٠ – ٢٨ – ١٠» وقفة «١٨ – ٢٥» وقفة «١ – ٢٣ – ١٦ – ١ – ٢ – ١ – ٢٣ – ٢٦» وقفة «٢٧ – ١ – ٢٣ – ٤ – ٢٢ – ١ – ٢٥» انتهى. انتظر، ثم بدأت الرسائل تصل. كانت أوَّل رسالة من «باسم»: «٣ – ٢٤ – ١ – ٢٤» وقفة «١ – ٢٣ – ٢٥ – ٢١ – ١٦ – ٢٦» وقفة «١٣» وقفة «١ – ٢٣ – ١١ – ١ – ٢٧ – ٢٨ – ٢٦» وقفة «٤٥». انتهى ... كان «أحمد» يترجم الرسالة في نفس وقت وصولها؛ كانت الرسالة تقول: «تمام، النقطة «ش»، الزاوية ٤٥.» ... ثم جاءت رسالة «عثمان»: «٢٤ – ٦ – ١ – ١٤ – ١٠ – ١ – ٢٥» وقفة «١ – ٢٣ – ٢٥ – ٢١ – ١٦ – ٢٦» وقفة «٢١» وقفة «١ – ٢٣ – ١١ – ١ – ٢٧ – ٢٨ – ٢٩» وقفة «٩٠». انتهى ... ظهر التفكير العميق على وجه «أحمد» بعد أن تلقَّى رسالة «عثمان»، التي كانت تقول: «محاصران؛ في النقطة «ق»، الزاوية ٩٠.» ... فكَّر قليلًا، وقال في نفسه: إنَّ الكابتن «م» مع «عثمان»، فهل يتفاهم معه جيدًا؟ ... بدأ يضع خُطة التحرك للشياطين؛ لإنقاذ «عثمان» وكابتن «م» المُحاصَرين. لكنَّه في نفس الوقت كان يشعر بالقلق؛ فقد كانت رسالة «خالد» لم تصِلْ بعد، لكن فجأةً أعطى جهاز اللاسلكي إشارة! ... لكنه في نفس اللحظة لم يستطع الاستمرار في تلقِّي الرسالة؛ فقد دوَّت الطلقات حوله، ممَّا جعل «بالم» يصرخ. إلا أن «أحمد» كان أسرع إليه، فلم تكتمل صرخته. لقد كمَّمَ فمه بسرعة، ثم مدَّ يده، وضغط زرًّا في الجهاز؛ ليستقبل المكالمة ويُسجِّلها ...

الصراع عند طرف الغابة!

هدأ دكتور «بالم». نظر له «أحمد» نظرة استفهام، فابتسم ... مدَّ يده، ورفع يد «أحمد» عن فمه، وهمس قائلًا: لقد أفزعتني المفاجأة؛ إنني أعتذر.

ابتسم «أحمد»، ثم عاد مرَّة أخرى مكانه. ضغط زر الجهاز، ثم أخذ يستمع إلى الرسالة المسجَّلة. كانت الرسالة من «خالد»، تقول: «١ – ١٤ – ٢٨ – ٢» وقفة «٢ – ١ – ٢٣ – ٢٤» وقفة «١ – ١٤ – ١ – ٢ – ٢٦» وقفة «١ – ٦ – ٣ – ١ – ٥» وقفة «١ – ٢٣ – ٢٨» وقفة «٢٤ – ١٨ – ١ – ٢٧ – ٢٥ – ٢٦» وقفة «١ – ٢٣ – ٢٤ – ١ – ٢٥» وقفة «٥». انتهى ... ترجم «أحمد» الرسالة بسرعة، ثم عَلَت الدهشة وجهه. فكَّر لحظة: هل ينقل معنى الرسالة إلى «بالم»؟ إنه وحده الذي يستطيع أن يجد حلًّا. لكنَّه لم يفعل ذلك مباشرة؛ فقد بدأ يُفكِّر في الرد على «خالد». تعالت طلقات الرصاص مرَّة أخرى، لكنَّها كانت طلقات من مصدر واحد؛ فالشياطين يعرفون أصوات طلقاتهم. كانت الأمور مُعقَّدة الآن أمامه، لكن الشياطين ينتظرون خُطة التحرك التي يجب أن يتَّفقوا عليها جميعًا. فجأة وصلت رسالة! كانت الرسالة من «عثمان»، تقول: «١ – ٢٣ – ٣ – ٢١ – ١٦ – ٣» وقفة «١٠ – ١٢ – ١ – ٢٣ – ٢٦» وقفة «٧ – ١ – ٢٣ – ٨» وقفة «١٢ – ٢٧ – ٢٠» وقفة «١ – ٢٥ – ١٥ – ٢٤» وقفة «١ – ٢٣ – ٢٨ – ٢٦ – ٢٧ – ٢٤ – ١٨ – ٢٨ – ٢٤». انتهى ... فكَّر في رسالة «خالد» التي كان معناها: «أُصيب «بالم» إصابة خطيرة. أحتاج معاونة، المكان «ج».» وكان معنى رسالة «عثمان»: «التقطت رسالة «خالد»؛ سوف أنضم إليه ومعي «م».»

قال في نفسه: إن هذا هو الحلُّ الوحيد. مرَّة أخرى فكر في أن يقول ما حدث لدكتور «بالم» ... لكنَّه خشي في نفس الوقت أن يُصاب بالفزع، لكن لم يكن هناك مفر من ذلك. التفت في هدوء، ونظر إلى «بالم» الذي كان يُراقب باهتمام. لمعت في ذهنه فكرةُ أن ينضم

هو الآخر ومعه دكتور «بالم» إلى «خالد» و«بالم ٢». انتظر لحظة؛ فقد نظر له دكتور «بالم». همس الدكتور: هل هناك أخبار جديدة من الزُّملاء؟

ابتسم «أحمد»، وقال: سوف ننضمُّ إليهم. فقط عليك بالحذر؛ حتى لا يكتشف وجودنا أحد». بدآ يتحرَّكان من مكانهما. كان «أحمد» يمشي في المقدِّمة، وهو يراقب كل الاتِّجاهات. كان الجو قد بدأ يميل إلى البرودة بتأثير اقتراب الليل؛ فقد كانت الساعة قد تجاوزت الرابعة مساء. ولهذا، فإن الوقت ملائم تمامًا حتى يضع الشياطين خُطَّتهم، ما لم يحدث شيء. كانت أصوات الطيور قد ازدادت؛ فهي تعود الآن إلى أعشاشها. وكان هذا أيضًا يخدم الشياطين في حركتهم؛ لأن أصوات الطيور تُخفي ما يمكن أن يصدر من أصواتهم عند الحركة. استمرَّ «أحمد» وهو يرقب البوصلة الصغيرة التي يحملها؛ حتى لا يتوه عن الاتِّجاه. فجأة، مدَّ يده وأمسك بذراع «بالم» الذي أفزعته هذه الحركة. نظر إلى «أحمد» في تساؤل.

فضغط «أحمد» على ذراعه وهمس: أنْصِت؛ إنهم يتحدثون.

أنصتَ «بالم» في اهتمام. كانت هناك أصوات بعض الرجال، لكنها لم تكن واضحةً تمامًا. فكَّر «أحمد»: إنَّ هذا يعني أنهم قريبون منا، وإن كانت المسافة لا تكفي لأن نسمعهم بوضوح. في نفس الوقت، إن أصوات الطيور تُؤثِّر أيضًا! …

ظلَّا يستمعان دون أن يتحرَّك أحدهما؛ أخذت الأصوات تقترب. استطاع «أحمد» أن يُفسِّر بعض الكلمات؛ كان أحدهم يقول: «براش»، ينبغي أن نتحرك بحذر؛ فالظلام سوف يفيدهم كثيرًا!

ردَّ الآخر: نعم يا «بوش»، بل إنَّني أفكِّر أن نُقسم أنفسنا إلى أربع مجموعات، تتركَّز كل مجموعة في مكان حتى الصباح. ولا تنسَ أن فرقة الكلاب سوف تصل. وهذه سوف تفيدنا كثيرًا في بحثنا، خصوصًا في الليل.

كان صوت «بوش» يبدو هادئًا، في نفس الوقت الذي يُميز فيه صوت «براش» الخشونة والتوتر. كانت هذه المعلومات مفيدة تمامًا، حتى إنَّ «أحمد» تحرَّك في اتجاههم؛ فهو يريد مزيدًا من التفاصيل، خصوصًا عن فرقة الكلاب؛ لأنَّها سوف تكون مصدر الإزعاج الحقيقي. همس دكتور «بالم»: هل سمعت حكاية فرقة الكلاب؟ … لم يردَّ «أحمد» مباشرة؛ فقد كان يريد أن يعرف كيف يُفكِّر الدكتور. قال بعد لحظة: نعم، وماذا في ذلك؟! …

قال «بالم» بخوف: إن الكلاب سوف تكشف مكاننا بسرعة.

ابتسم «أحمد»، وقال: هل تثق بي؟ أسرع «بالم» يعتذر، وهو يقول: إنني فقط كنت ألِفت نظرك. … قال «أحمد» يُطمئن «بالم»: إنَّنا نعرف كيف نتعامل مع الكلاب … كتم

«بالم» ضحكةً كادت تُفلت منه، فقد أعجبه تعبير «أحمد»؛ فهو لا يقصد الكلاب الحقيقية فقط، ولكنه يقصد أيضًا أفراد العصابة. اقتربت الأصوات أكثر، واستمع «أحمد»: هل انتهيت إلى قرار؟ ... كان المتحدث هو «براش» ... فأجابه «بوش»: نعم. سوف تكون أنت على رأس مجموعة تتركَّز عند الضلع الشمالي للغابة. وسوف يقود «جوردان» مجموعته في الجنوب ... و«بيللي» في الغرب، وسوف أقود أنا مجموعة الشرق.

سأل «براش» مرة أخرى: متى يتم ذلك؟ ... قال «بوش»: عندما نصل إلى المعسكر فورًا.

فهم «أحمد» أن العصابة قد أعدَّت كل شيء، وأنها كانت تنتظر نزول طائرة الشياطين، في نفس الوقت الذي وضعت فيه احتمال قيام صراع تكون الغابة طرفًا فيه. فكَّر: إن من المهم الآن أن نعرف أين يقع معسكرهم. إن ذلك يفيدنا كثيرًا، لكنه تذكر في نفس الوقت أن إصابة «بالم ٢» قد تتسبَّب في تعطيلهم، بل إنَّها يمكن أن تشلَّ حركتهم. إن «بالم ٢» يُمثِّل نفس أهمية دكتور «بالم». فكَّر: هل يوجد دكتور «بالم» إلى حيث يوجد «خالد»، أم أنه يمكن أن يقع في خطأ قاتل، فتفشل المغامرة؟ ... فجأة، وصلت رسالة ... تلقَّى الرسالة بسرعة؛ كانت رسالة شفرية خاصَّة؛ فهي لا تتحدَّث بلغة شفرة الشياطين؛ ولذلك فقد عرف أنَّها رسالة من رقم «صفر»: «ماذا حدث؟ لقد وقعتِ الطائرة في أيدي رجال العصابة في «إيطاليا»؟! تقارير العملاء تقول أخباركم بإيجاز. مجموعة أخرى من الشياطين طارت إلى هناك! ...

كانت الرسالة صدمة لـ «أحمد»؛ فهو يعرف خطورة سقوط طائرة الشياطين في أيدي رجال العصابة؛ فهي واحدة من الطائرات المجهَّزة تجهيزًا خاصًّا، بجوار أن طاقم الطائرة يُمكن أن يبوح بأي سر من أسرار المقر السري أو الشياطين ... في نفس الوقت، بدأ يُعِد رسالة موجزة عما حدث، ثم أرسل رسالة إلى رقم «صفر» بنفس الشفرة الخاصة، التي لا يعرفها سوى «أحمد» ورقم «صفر» فقط. لم يكن قد تحرَّك من مكانه، ولم يكن قد اتَّخذ قرارًا أخيرًا؛ بأن يستمر خلف رجال العصابة، أو يتجه إلى حيث يوجد «خالد». فكَّر لحظة، ثم قال في نفسه: يجب أن أستمر. في نفس الوقت، يجب أن ينضم «باسم» و«إلهام» إلى بقيَّة الشياطين. جاءه ردُّ رقم «صفر»: أهنئكم على نجاح مغامرة «رجل المستقبل»؛ في انتظار نجاح مغامرتكم الجديدة. كانت رسالة رقم «صفر» تُمثِّل نوعًا من الراحة لـ «أحمد» بهذه التهنئة. أمَّا الرسالة الأولى فقد أحزنته كثيرًا، وإن كانت تُمثِّل دافعًا قويًّا، حتى ينتهي من هذه المغامرة؛ لينضمَّ إلى الشياطين في «إيطاليا»؛ فهي مغامرة خطِرة! أرسل رسالة إلى

«باسم» يطلب منه الانضمام هو و«إلهام» إلى «خالد». في نفس الوقت، أخبره عن مُهمَّته التي يقوم بها، ومعه دكتور «بالم». تقدَّما في حذر؛ كانت الأضواء قد ابتعدت قليلًا، لكنَّه كان يتبيَّنها بما يكفي لأن يظلَّ خلفها؛ فهي المرشد الوحيد ليصل إلى هناك. بدأ الظلام ينتشر، حتى إنَّ «بالم» همس: ها هو الليل يُخفينا عن أعينهم! …

ابتسم «أحمد»، وقال: ويُخفيهم أيضًا! …

بدأت أضواء بعيدة جدًّا تظهر. فَهم «أحمد» أنهما يقتربان من نهاية الغابة، وأن هذه أضواء بيوت الفلاحين في الريف الفرنسي. توقَّف قليلًا؛ فقد اختفت الأصوات. قال في نفسه: هل وصلوا؟ … لكنه سمع أصوات الأغصان وهي تحتكُّ ببعضها. جذب «بالم» إليه، وأنصتَ جيدًا. كانت أصوات الأغصان تقترب أكثر، وتبيَّن تبعًا لذلك أصوات أقدام تقترب، وتدوس على الأغصان الجافة التي تُغطي أرض الغابة. كتم أنفاسه وهو يستعد؛ فقد يدخل معركة في أية لحظة. في نفس الوقت، كان يُفكِّر في «بالم» الذي لا يستطيع أن يشتبك هذه الاشتباكات العنيفة. وضع يده في جيبه، وأمسك بمُسدَّسه. فكَّر أن يُعطيه لـ «بالم»، لكنه تراجع، فقد يفقد «بالم» أعصابه، ويُطلق رصاصةً تحت تأثير الخوف فيكشف مكانهما. اقترب صوت الأقدام أكثر. حرص على ألا يَصدر عنهما أي صوت. فجأةً سمع صوتًا خشِنًا يقول: كان يكفي أن يُرسل التعليمات، بدلًا من هذا الاجتماع! مرت ثلاث دقائق، ثم ظهرت عدَّة أشباح؛ استطاع أن يُحددها بأربعة. لم يكن يظهر سوى شكلهم العام، عبارة عن كُتَل سوداء تتحرَّك. مرَّت الأقدام بجواره هو و«بالم» الذي كان يشعر بالخوف. ابتعدت الأقدام قليلًا، إلا أن «بالم» تحرَّك من مكانه؛ فقد أتعبه الوقوف في مكان واحد فترة طويلة. أحدث تحركه صوتًا، جعل الرجال الأربعة يتوقفون. قال صوت رفيع: هناك أحد؟ … كان «أحمد» قد أمسك بالدكتور «بالم» في قوة؛ حتى لا يتحرَّك مرة أخرى، إلا أن الدكتور بدأ يرتجف بتأثير الخوف. وكان ارتجافه يتسبَّبُ في صدور أصوات جعلت الرجال يتساءلون: إن هناك شيئًا يهتزُّ … رد واحد: ربما تكون أحد حيوانات الغابة؛ فأر، أو ثعلب مثلًا.

صمتَ كل شيء … عرف «أحمد» أنَّهم يتسمَّعون. ولم يكن أمامه إلا أن يحمل «بالم»؛ حتَّى لا يهتزَّ. ظل هكذا فترة، ثم بدأ يشعر بالتعب. كان «بالم» قد هدأ قليلًا، فأنزله في هدوء. فجأة، جاء صوت خشن: لا بُدَّ أن نرى مصدر هذا الصوت الذي توقَّف؛ من يدري؟! بدأت أقدامهم تتحرَّك مقتربة من مكان «أحمد» و«د. بالم». فكَّر «أحمد» بسرعة: هل يشتبك معهم؟ إنهم أربعة. وهذا يعني أن المعركة قد تكون غير متكافئة، ويمكن أن يشتبك مع اثنين أو ثلاثة، ويتفرَّغ أحدهم لـ «بالم» … اقتربت الأقدام أكثر … وكان لا بُدَّ

أن يتخذ قرارًا. بسرعة أخرج مُسدَّسه، وثبَّت فيه إبرة مُخدِّرة. وعندما اقترب أوَّل الرجال تمامًا، حدَّدَ مكانه، ثم أطلق الإبرة. نظر له «بالم» في دهشة؛ فهو لم يسمع صوت طلقة الرصاص، لكن سمع صوت ارتطام جسم بالأرض. كاد ينطق، إلا أن «أحمد» كان أسرع منه؛ فقد وضع يده على فمه. فَهِمَ «بالم» أن «أحمد» لا يُريد منه أن يتحدَّث. أعقب صوت سقوط أحدهم كلام كثير: ماذا حدث؟ ... لماذا وقع «بيللي»؟ ثم بعد لحظة سمع: «بيللي» ... ماذا حدث؟ هل أُصبتَ بشيء؟ ... لكنَّ «بيللي» لم يردَّ؛ فقد أفقدته الإبرة المُخدِّرة وعيه تمامًا! كان «أحمد» يُفكر: إن «بالم» يحتاج إلى مزيد من الثقة في الشياطين؛ ولذلك فلا بُدَّ أن يرى معركة سريعة ... نظر إلى الدكتور، ثمَّ همس في أذنه: لا تتحرَّك من مكانك؛ فقط راقبني جيِّدًا.

تقدَّم عدَّة خطوات في حذر شديد. كان الرجال الثلاثة مُلتفِّين حول «بيللي» الراقد؛ قال في نفسه: إن ضربة واحدة يمكن أن تُطيح بهم! ... لكنَّه لم يُنفذ ذلك. فقد أخرج حقنة أخرى، ثبَّتها في فُوهة مُسدَّسه، ثم أطلقها فسقط الآخر. في نفس اللحظة، وقبل أن يُعطي الباقين فرصة، كان يطير في الهواء، وهو يُوجِّه ضربة لكل منهما. كانت الضربة قوية، فسقط الاثنان على الأرض. وفي لَمْح البصر، تابع أوَّلهما، الذي اعتدل بسرعة، فوجَّه إليه ضربة قوية جعلته يصرخ. كان الآخر قد أخرج مُسدَّسه، وصوَّبه في اتِّجاه «أحمد»، الذي كان أسرع منه؛ فقد ارتمى على الأرض، فطاشت الطلقة، في نفس الوقت الذي كان «أحمد» قد أطلق رصاصة أصابت يدَ الرجل، فسقط المُسدَّس على الأرض. ولم يكن ذلك كافيًا؛ فقد أسرع إليه ليضربه، فسقط بلا حراك. كان الآخر يحاول الوقوف، إلا أن «أحمد» لم يُعطِه فرصةً؛ فقد قفز في الهواء، وهو يضربه ضربة جعلت الرجل يدور في الهواء، ثم يسقط على الأرض. همس بسرعة: دكتور «بالم»، تقدَّم.

إلا أن «بالم» لم يظهر. فكَّر «أحمد» بأنَّ «بالم» يخشى أن يتقدَّم. فأسرع يجرُّ الرجال الواحد بعد الآخر، بعد أن يشُدَّ وَثاقه، ثم جمعهم في مكان واحد. وعندما انتهى، وقف ينظر حواليه يُراقب المكان جيِّدًا. خَطَا بسرعة في اتِّجاه دكتور «بالم». لكن المفاجأة جعلته يكاد يصرخ؛ فلم يكن «بالم» موجودًا!

عندما اختفى دكتور «بالم»!

وقف «أحمد» يرقب المكان، ودارت برأسه عشرات الاحتمالات. وكشريط السينما، دارت في رأسه كلُّ المعارك التي حدثت. تذكَّر كل تفاصيل مغامرة «رجل المستقبل»، تذكَّر كلمات رقم «صفر» التي تعني أن دكتور «بالم» يُمثل أهمية خاصة، وأن العصابة إذا استطاعت أن تحتفظ به، فإن ذلك يعني ظهور عصابات جديدة خطيرة!

قال في نفسه: هل خطفه أحد؟! ومَن الذي خطفه؟! إن الموجودين كانوا أربعة فقط، وها هم الآن بلا حَراك! هل يمكن أن يكون قد افترسته إحدى حيوانات الغابة؟! إن ذلك لو حدث، فإن صوتًا سوف يصدر. إما عن الحيوان، وإما عن «بالم» نفسه! هل يكون قد هرب؟! ولماذا يهرب، وهو يعرف الخطر الذي يختفي في كل مكان من الغابة؟!

عشرات الاحتمالات والأسئلة كانت تدور برأسه؛ فكر: هل يرسل رسالة إلى رقم «صفر»، يشرح فيها ما حدث؟! هل يرسل رسالةً إلى الشياطين؛ لينتشروا في الغابة بحثًا عنه؟!

لكنَّه لم يقطع بشيء. حدَّدَ المكان الذي يقف فيه؛ حتى لا يفقد أثره، ثم تحرَّك من مكانه. فجأةً، تناهى إلى أُذنيه صوت كلاب تنبح. قال في نفسه: هذه هي نهاية دكتور «بالم». إنَّ الكلاب سوف تعثر عليه، وينتهي كلُّ شيء! إن نجاح مغامرة «رجل المستقبل» قد انتهى، وأفسد اختفاؤه كل الجهود التي بذلها الشياطين.

تحرَّك من مكانه في حذَر وبطء. كان يُريد أن يستمع إلى أي شيء. توقَّف مرة أخرى؛ فكَّر: هل يتراجع، أو أنه يجب أن يتقدَّم في اتجاه أصوات الكلاب؟ فهي الآن إمَّا أن تكون في المعسكر، أو تكون في طريقها إليه.

عاد أدراجه مرَّة أخرى، في نفس الاتِّجاه الذي يأتي منه صوت الكلاب هذه المرة. كان يُسرع الخُطى؛ فهو يريد أن يسبق الزمن. إن الوقت أصبح الآن أكثر خطورة من أي لحظة

مضت، والليل يُمثل لهذه المغامرة أهمية خاصة؛ فهي ينبغي أن تنتهي الليلة، وأن يخرج الشياطين من الغابة، أو يقضوا على رجال العصابة.

أسرع «أحمد» أكثر، لكنه توقف فجأة؛ فقد ظهرت بقعة ضوء تتحرك. أسرع في اتِّجاه بقعة الضوء، حتى إذا بدأ يسمع صوت الرجال توقَّف. فالآن كما فكَّر يمكن أن يعرف خُططهم جميعًا. اقترب، ظل يمشي وهو ينظر حواليه، حتى بدا صوت الرجال واضحًا. قال في نفسه: هذه هي اللحظة المناسبة للقضاء على العصابة؛ إن معرفة خُططهم سوف تكون هي البداية.

استمع لحظة، ثم فكر: هل يمكن أن ينسحب الشياطين من الغابة، بينما رجال العصابة مشغولون باجتماعهم؟!

غير أن إجابة السؤال تردَّدَت في ذهنه: من الممكن أن تكون الغابة كلها محاصرة، وهؤلاء فقط في مُهمة للبحث داخل الغابة.

ثم تردَّدَ في ذهنه من جديد: ما جدوى كل شيء الآن، بعد أن اختفى دكتور «بالم»؟!

فجأةً، سمع صوتًا حادًّا يقول: إنني أعترض على هذه الخُطة؛ إن البحث الليلي لن يُوصل إلى نتيجة؛ ينبغي أن نرتاح الليلة، ونبدأ عملنا مع بداية الضوء.

ردَّ صوت هادئ: لا داعي للصراخ يا «جوردان»؛ إن «بيللي» لم يصل بعد، إننا فقط نعرض الأمور؛ أليس كذلك يا «براش»؟

فهم «أحمد» أن المتحدث هو «بوش»، وأنهم في انتظار «بيللي»، الذي يرقد الآن بلا حَراك هو ومن معه. قال «براش»: اسمع يا «بوش»، إن تأخُّر «بيللي» يعني أشياء كثيرة؛ فهو لم يتصل بنا، وكذلك رجاله، مع أن معهم أجهزة الاتصال. وهذا قد يعني أن شيئًا ما قد حدث.

سأل «بوش»: ماذا تقترح إذن؟

صرخ «جوردان»: لا بُدَّ أن يستمر العمل في الغابة، لكن من الممكن أن تقوم به فرقة واحدة، وليس كل الفِرق. إن حركتنا في الليل يمكن أن تكشف وجودنا.

كانت أصوات الكلاب ترتفع في بعض الأحيان، فتُغطي على بعض الكلمات، فلا يسمعها «أحمد»، إلا أنه كان يفهم المعنى كاملًا.

قال «بوش»: نُعِد فريقًا للبحث، ويرتاح الباقون.

قال «جوردان» بلهجة انتصار: هذه خُطَّة حكيمة.

أضاف «بوش»: فقط ينبغي أن نُرسل للزعيم.

صمت الرجال جميعًا، ولم يعد «أحمد» يسمع شيئًا، وبينما هو مستغرق في تتبُّع ما يُقال. تذكر دكتور «بالم» مرَّة أخرى. قال في نفسه: إن العثور على «بالم» أهمُّ من أي شيء الآن، خصوصًا بعد أن عرفت المكان، وكيف يُفكِّرون. إذا تحرَّكوا فسوف تكون هذه أفكار الزعيم، وإذا لم يتحرَّكوا فهذه أفكارهم. وفي الحالة الأخيرة، سوف يكون القضاء على فريق البحث سهلًا.

تحرَّك عائدًا إلى مكانه القديم الذي حدَّده، والذي اختفى فيه دكتور «بالم». تذكَّر فجأة أنه نسي شيئًا. إن معه جهازًا للكشف، يمكن أن يرصد وجود أي جسم بشري، فهو يستقبل الإشعاعات التي يُصدرها جسم الإنسان، ويحوِّلها إلى موجات كهربية، تُضيء في حالة وجود جسم بشري. أخرج الجهاز الصغير بسرعة، ثم ضغط زرًّا فيه، وبدأ يُوجِّهه إلى اتجاهات مختلفة، غير أن الجهاز لم يُضئ ولا مرَّة. لكن ذلك لم يجعله يشعر باليأس؛ إنَّه يعرف أن قوة الجهاز تصل إلى عشرين مترًا، وهذا يعني أنه ربما كان «بالم» قد تحرَّك من مكانه إلى مسافة أبعد، لكن إلى أي اتِّجاه تحرك «بالم»؟!

رسم لنفسه عدة دوائر يمكن أن يتحرك فيها؛ حتى لا يبتعد عن المكان؛ فهو يثق بأن «بالم» لم يبتعد كثيرًا. بدأ بالدائرة الأولى، وجعل مركزها نفس المكان الذي كان يقف فيه «بالم». دار حول نفسه وهو يُوجه الجهاز إلى جميع الجهات، غير أن الجهاز لم يُعطِ أي إشارة. انتقل إلى دائرة أخرى، تُلامس نهايتها بداية الدائرة الأولى؛ حتى لا يدَعَ مكانًا واحدًا بلا بحث. دار نفس الدورة، ولم يُعطِ الجهاز إشارة. انتقل إلى دائرة ثالثة، وقبل أن يدور حول نفسه فكَّر: هل أُرسِلُ رسالة إلى الشياطين؟ ربما يكون «بالم» قد اتجه إليهم.

لكنه ردَّ في نفسه، بعد لحظة: إن «بالم» لا يعرف مكانهم.

ألغى هذه الفكرة، ثم ضغط زرَّ الجهاز، ودار حول نفسه. فجأة، أُضيئت لمبة الجهاز؛ شعر «أحمد» بفرح شديد. أخذ يتقدم، وظلت اللمبة مضيئة. تقدم أكثر، لكنها فجأة انطفأت! تراجع عدة خطوات، فأضاءت من جديد. قال في نفسه: إن «بالم» يقع في هذه الدائرة، على بُعد عشرين مترًا.

فكر: هل يسمعني لو تحدثت إليه، أو ناديته؟!

لكنه خشي أن يرتفع صوته فيسمعه أحد، خصوصًا وأن هناك فرقة سوف تخرج للبحث ... أخذ يتقدم خطوة خطوة، ولمبة الجهاز مُضاءة. فجأة توقَّف؛ فقد سمع صوت أنين. أخذ يُحدد مصدر الصوت حتى عرفه. تقدَّم في هدوء وحذر؛ كان الصوت يقترب أكثر. فكر: هل يكون «بالم» قد أُصيب بشيء؟!

تقدَّم أكثر، حتى أصبح الأنين قريبًا منه. خطا خطوة أخيرة في نفس اتِّجاه مصدر الصوت، فوجد «بالم». كان يئنُّ بما يدل على أنه مُتعب تمامًا. انحنى عليه وهمس: دكتور «بالم»؟! لمعت عينا «بالم» في الظلام، وهمس: صديقي ... أين أنت؟!

مدَّ «أحمد» يديه، وجذبه برفق، فوقف. همس «أحمد»: لماذا تركت مكانك؟!

همس «بالم»: لم أستطع مشاهدة ما حدث، خصوصًا ذلك الذي أخرج مُسدَّسه وأطلق عليك النار. جَريتُ، كنت أريد أن أبتعد؛ فبدوني سوف تجد أكثر من سبب يُنجيك من الخطر، لكن وجودي يجعلك في موقف صعب!

ابتسم «أحمد» وهو يقول: يا صديقي الدكتور، لا تخشَ شيئًا؛ لقد قلت لك إنني أعرف كيف أتعامل مع الكلاب!

صمت لحظة، ثم سأله: هل تستطيع السير؟

ابتسم «بالم»، وقال: الآن ... نعم!

قال «أحمد»: إذن، هيا بنا؛ حتى نستطيع الانضمام إلى الآخرين قبل أن يحدث شيء!

أسرعا في اتجاه الشياطين، وكان «أحمد» يسترشد بالبوصلة التي يحملها، والتي تُحدِّد مكانهم. كان كل شيء قد هدأ الآن، حتى أصوات الطيور قد اختفت؛ فقد نامت، بعد أن تقدم الليل. فجأة، صدر صوت بجوارهما، جعل «بالم» يقفز، إلا أن «أحمد» كان أسرع منه، فأمسك به وهو يبتسم ويقول: لا تخشَ شيئًا؛ إنه أحد الحيوانات في الغابة، قد أزعجناه، ففرَّ هاربًا!

أسرعا في خطواتهما، فقد كان اتِّجاههما بعيدًا عن معسكر العصابة، غير أن «أحمد» كان يُفكِّر في هذه اللحظة في شيء آخر. كان يتمنَّى أن يعود إلى المعسكر؛ حتى يعرف ماذا سوف يحدث، إلا أن وجود «بالم» كان يمنعه من تنفيذ ما يُفكِّر فيه. فجأة، شعر بدفء جهاز الاستقبال، فعرف أن هناك رسالة. استقبل الرسالة بسرعة، وكانت من الشياطين، يقولون فيها إنَّهم غيَّروا مكانهم إلى النقطة «ع». دسَّ الجهاز في حقيبته، ثم عدَّل البوصلة على النقطة «ع»، فتغير الاتِّجاه، وإن كان بعيدًا عن مكان معسكر العصابة. سأله «بالم»: لماذا غيَّرنا اتجاهنا؟

ابتسم «أحمد»، وقال: إننا لا نتقدم في اتجاه مستقيم، وإلا انكشف وجودنا.

هزَّ «بالم» رأسه علامة للفهم، ثم تقدَّم بجوار «أحمد»، إلا أن تقدمها لم يستمر طويلًا؛ فقد بدأت تظهر أصوات الكلاب. فكر «أحمد»: يبدو أن فرقة البحث الليلي بدأت رحلتها، من نفس المكان الذي نتَّجهُ إليه.

نظر «بالم» له، وقال: هل تسمع هذه الأصوات؟!

ابتسم «أحمد» قائلًا: هذه الكلاب.

ابتسم «بالم»، وفهم ما قاله «أحمد».

فجأةً، علا صوت الكلب أكثر، أمسك بيد «بالم» وتوقَّف. كان يُفكِّر: إن هذا معناه أن الكلاب قد اكتشفت مكان الشياطين، ما دام نُباحها قد علا!

أرسل رسالة سريعة إليهم، وانتظر الرد، غير أن الدقائق مرت دون يصل ردٌّ ما. قال في نفسه: لعلهم مشغولون بمعركة!

فجأةً، ارتفع صوت طلقات كان يُدوِّي في هدوء الليل، أخذ يتسمَّع لصوت الطلقات، فعرف أنها طلقات العصابة، وليست طلقات الشياطين. مرَّت دقائق أخرى، ثم تلقَّى ردًّا. كان الردُّ من «عثمان»: انسحبت وكابتن «م» و«بالم ٢»؛ هناك معركة قد بدأت بين العصابة، وبين «خالد» و«باسم» و«إلهام».

فكَّر «أحمد» لحظة: هل ينضم إلى الشياطين في المعركة، أو ينضم إلى «عثمان»؟!

بسرعة أرسل إليه: إلى أيِّ نقطة يتمُّ الانسحاب؟

جاءه رد «عثمان»: إلى النقطة «ص».

اتَّسعت عينا «أحمد». إنَّ النقطة التي يُحدِّدها «عثمان» تقع في اتجاه معسكر العصابة، أي إنه يمكن أن يقع في أيديهم، ومعه «بالم ٢».

أرسل رسالة سريعة لـ «عثمان»؛ قالت الرسالة: «غيِّر الاتجاه؛ النقطة «ص» هي مكان العصابة الآن.»

في نفس الوقت، قرر الانضمام إلى «خالد» و«إلهام» و«باسم»، وإن كان قد فكَّر كثيرًا في وجود دكتور «بالم».

غير أنه تقدَّم في اتجاه الشياطين؛ لأن الانضمام إلى «عثمان» سوف يُمثِّل عقبة أخرى.

أسرع في الاتجاه، لكنه توقف فجأة؛ فقد سمع طلقات الشياطين، في نفس الوقت الذي كانت أصوات الكلاب لا تتوقَّف. قال في نفسه: إنها إذن معركة مُسدَّسات.

نظر إلى «بالم»، وقال: يجب أن نجري؛ حتى نلحق بهم. لم يتحرك «بالم»، وقال: أين اختراعي؟!

ابتسم «أحمد»، وقال: إنك في أمان؛ لا تخشَ شيئًا.

أخذ الاثنان يجريان، وهما يُزيحان أغصان الأشجار التي كانت تَعُوق تقدمهما. فجأة، ظهر ضوء طلقات الرصاص المتبادَل. كانت تبدو طلقات الشياطين في اتجاه الشمال،

بينما طلقات العصابة في اتجاه اليمين. في نفس الوقت كان «أحمد» يتقدم في المنتصف بين الاثنين تمامًا. فكَّر لحظةً: إنَّ اشتباكي مع العصابة من موقعي، سوف يُخفف الضغط عن الشياطين من جهة، ومن جهة أخرى سوف يُؤكد للعصابة أن القوة التي أمامهم ليست صغيرة، وإن كان ذلك سوف يجعلهم يدفعون بقوة أكبر، لكن ذلك لا يُهِمُّ. إن الشياطين يستطيعون دخول أي معركة.

أسرع أكثر، وخلفه دكتور «بالم»، حتى تأكَّد أنه قد أصبح في مكان مُلائم تمامًا للاشتراك في المعركة. أخرج مُسدَّسه السريع الطلقات، ثم وضع فيه طلقات إضافية، وقال لـ «بالم»: قف خلف هذه الشجرة؛ حتى لا تتعرَّض لأي إصابة.

ابتسم، ثم أضاف: أرجو ألا تنزعج هذه المرة؛ أنت تعرف أن الغابة مملوءة برجال العصابة، ولو تحرَّكتَ فقد تقع في أيديهم، أيضًا هناك فرقة الكلاب التي تسمع صوتها.

ابتسم «بالم»، وقال: لن أتحرَّك.

سدَّدَ «أحمد» مُسدَّسه في اتجاه طلقات العصابة. انتظر لحظة حتى حدَّد مصدر إحدى الطلقات من خلال الضوء الذي يُصاحب انطلاق الرصاص، ثم ضغط زِناد المسدس، فخرجت مجموعة الطلقات كالمطر. ولم تمضِ لحظة حتى سكت مصدر الطلقات. فجأة، سكت الشياطين؛ فقد عرفوا أن «أحمد» قد انضمَّ إليهم، وأن عليهم الآن أن يُنفِّذوا الخُطَّة «ج».

استمرَّ «أحمد» في إطلاق الرصاص، فتحوَّلت طلقات العصابة إليه، ومرَّت دقائق في تبادل الطلقات. فجأة، شعر أن هناك رسالة يستقبلها الجهاز. كانت الرسالة من «خالد»، تقول: سوف ندور حولهم؛ يجب أن تنتهي المعركة بسرعة، قبل أن تنضم إليهم قوة أخرى.

كثَّف «أحمد» طلقات الرصاص، في نفس الوقت الذي كان يُراقب فيه دكتور «بالم»؛ حتى لا يحدث شيء. غير أنَّه فجأة سمع صرخة قريبة حادَّة جعلته يلتفت بسرعة. لقد كان دكتور «بالم» هو مصدر الصرخة!

«بالم ٢» في خطر!

في لمح البصر، كان قد قفز في اتجاهه، فرأى ما أدهشه، حتى إنه توقف لا يدري بالتحديد ماذا يمكن أن يفعل! لقد كان المنظر الذي أمامه غريبًا تمامًا، ولم يخطر له على بال. في نفس الوقت، فإنه لم يكن قد صادفه من قبل، وإن كان يعرفه. لقد كان هناك كلب ضخم، يرقد فوق صدر دكتور «بالم»، الذي لم يكن يُبدي أي حركة، وكأنه مُغمًى عليه. قال في نفسه: هذا نوع من الكلاب المدرَّبة، التي لا تحتاج إلى معاونة، والتي تستطيع أن تقبض على فريستها حتى يحضُر قائدها.

لقد مرَّت لحظات قبل أن يُقرر في النهاية استخدام الإبَر المخدرة، فهي الحلُّ الوحيد لهذا الموقف. فهذا النوع من الكلاب شَرِس تمامًا بما يكفي لئلا يشتبك معه، بجوار أن اشتباكه معه سوف يلفت النظر؛ فسوف يُصدِر الكلب أصواتًا تجعل أفراد العصابة يقتربون بسرعة. أخرج حُقنة مُخدِّرة، وكانت هذه الحركة كافية ليقفز الكلب في اتِّجاهه، وكأنه قد فهم ماذا ينوى «أحمد» أن يفعله. لقد كانت الحركة فُجائيَّة، حتى إنَّه لم يستطع تكملة ما فكَّر فيه؛ فقد ألقى الحقنة جانبًا، واشتبك مع الكلب في معركة. كان كلبًا غريبًا فعلًا، فهو لم يُصدِر أيَّ صوت، بجوار أنه كان يشتبك مع «أحمد» وكأنه إنسان! لقد ألقى بنفسه على «أحمد» الذي تلقَّاه بحركة طائرة أطاحت بالكلب بعيدًا. وأحس «أحمد» بثقل الكلب من هذه الحركة، إلا أنه عاد بسرعة في قفزة واحدة ليصطدم بـ «أحمد»، فأوقعه على الأرض، ثم بقفزة أخرى سريعة، فأصبح فوقه! فتح فمه، وأمسك يد «أحمد» الذي استطاع بكلتا يديه أن يُزيحه، إلا أنه أعاد الكرة. فكر «أحمد» بسرعة أن يستخدم مُسدسه؛ حتى ينتهي منه، لكنه خشي أن يلفت ذلك نظر العصابة، فأمسك الكلب من رقبته بكلتا يديه، وضغط عليها بقوَّة، إلا أن الكلب أنشب أظافره في صدر «أحمد» الذي ألقى بنفسه

على الأرض؛ حتى يتحاشى هذه الأظافر الحادة! في نفس الوقت، ضرب الكلب ضربة قوية جعلته يرتمي بعيدًا عنه، وعندما قفز واقفًا، كان هناك أحد الرجال أمامه. سدَّدَ إليه لكمة قويَّة أطاحت به، وعندما استدار إلى الكلب لم يجده؛ فقد عاد الكلب مرة أخرى إلى حيث يوجد «بالم»، الذي لم يتحرَّك من مكانه. أخرج الرجل مُسدَّسه، إلا أن «أحمد» كان أسرع منه؛ فقد قفز في اتجاهه، وسدَّدَ له قدمًا قوية أطاحت بالمُسدَّس. في نفس الوقت، كانت قدمه الأخرى قد أخذت طريقها إلى الرجل، حتى إنه صرخ. فكر «أحمد»: هل حدث شيء لدكتور «بالم»؛ حتى إنه استسلم في مكانه لا يتحرَّك؟!

هاجمه الرجل مرة أخرى، وعندما اشتبك معه، وقعت عينه على رجل آخر. ضرب الأول يمينًا خُطَّافية، في نفس الوقت الذي هاجمه فيه الآخر، فضربه «أحمد» ضربة قوية جعلته يتراجع في قوَّة. كان الأوَّل قد انضمَّ إليه هو الآخر، ولم يكن أمام «أحمد» إلا أن يستدعيَ الشياطين. ضغط على جهاز الإرسال ضغطة واحدة، في نفس الوقت الذي كان يستعدُّ فيه لملاقاة الرجلين. وقف الاثنان أمامه في انتظار لحظة اشتباك. فكر «أحمد» بسرعة: هل يستخدم المسدَّس ليقضيَ عليهما؟

لكنه فكر في نفس الوقت: إنهما سوف يفعلان نفس الشيء، وقد تكون النتيجة سيئة!

قال أحدهما: ينبغي أن ترفع يديك؛ بدلًا من أن تفقد حياتك!

وقال الآخر: لقد خسرتَ الجولة، ويجب أن تستسلم.

فكر «أحمد»: إنَّهما يُعطيانه فرصة نادرة الآن؛ فهو يستطيع أن يستسلم ليُعطيَ فرصة لوصول الشياطين.

قال: فلنتَّفِق أوَّلًا.

قال الأول: قل شروطك.

ردَّ «أحمد»: اتركا زميلي، واستدعيا الكلب؛ حتى لا يصيبه بسوء.

قال الآخر: ألقِ مُسدَّسك أولًا.

فكَّر «أحمد»: هذه فرصة!

مدَّ يده إلى مُسدَّسه، فصرخ الآخر: لا تفعل؛ ارفع يديك، ودعْني آخذ مُسدَّسك.

ابتسم «أحمد»، وقال: ليست هذه أخلاق الرجال؛ لقد طلبتما أن أستسلم، وقدَّمتُ شروطي، وليس من واجبكما أن تطلبا مني أن أُلقي مُسدَّسي.

قال الأوَّل: ارفع يديك قبل أن أستخدم المسدَّس. وفي لمح البصر، كان الرجل قد سحب مُسدَّسه.

فكَّر «أحمد»: لا بأس؛ إن مبدأ الحوار معهما يُعطيني فرصة لكسب الوقت.

قال: لا أظنُّ أن هذا من أخلاق النِّزال؛ لقد شهرت مُسدَّسك دون أن أُشهِر مُسدَّسي.

قال الرجل في غِلظة: لا داعي للكلام. إما أن ترفع يديك، وإلا فسوف أُفقِدك حياتك.

ابتسم «أحمد»، وقال: هذه ليست قضية هامة؛ إنني يمكن أن أفقد حياتي، لكنكما سوف تفقدان ما هو أهم منها!

ردَّ الآخر: لا داعيَ لهذا الكلام، فأنت لن تُؤثِّر علينا؛ سوف أعدُّ ثلاثة، ثم أُطلِق مُسدَّسي.

مرت لحظة صمت وترقُّب، ثم بدأ الرجل يعُد: واحد.

انتظر لحظة وهو يُسدِّد نظرة قوية إلى وجه «أحمد»، الذي كان يبدو هادئًا تمامًا.

عدَّ مرة أخرى: اثنان! كان الرجل يبدو مُتوتِّرًا، بعد أن بقيت مرة واحدة فقط ثم يُطلِق الرصاص، غير أن «أحمد» ابتسم ابتسامة عريضة جعلت الرجل يصرخ: لا تَهزَأ بي!

لقد كان هناك ما جعل «أحمد» يبتسم هذه الابتسامة العريضة التي أثارت الرجل، وقبل أن يفتح فمه ليُعلن «ثلاثة»، كان «خالد» يطير في الهواء خلف الرجلين، ويضربهما معًا ضربة قوية جعلتهما يقعان على الأرض، في نفس الوقت الذي قفز فيه «أحمد» في اتِّجاه أولهما، ووقف «خالد» بجوار الآخر. ضرب «أحمد» الرجل الذي اشتبك معه يمينًا مستقيمة، جعلته يتراجع حتى اصطدمت رأسه بساق شجرة، فسقط فاقدًا الوعي. وبسرعة كانت عيناه على الكلب الذي يربضُ فوق صدر دكتور «بالم». كان كمَن يُشاهد معركة سينمائية؛ فهو لم يتحرَّك. أخرج «أحمد» إبرة مُخدِّرة، ثم ثبَّتها في فُوهة مُسدَّسه. أسرع الكلب بالحركة، إلا أن «أحمد» كان قد ضغط زِناد المسدَّس، فانطلقت الحقنة لتستقرَّ في صدر الكلب الذي هدأت حركته، ومرَّت لحظة سريعة، ثم سقط على الأرض بلا حَراك!

أسرع «أحمد» إلى دكتور «بالم»، في نفس الوقت الذي كان «خالد» قد انتهى من مُهمَّته؛ فأوثق الرَّجُلين بعد انتصاره على الرجل الآخر، وانضمَّ إلى «أحمد».

كان «بالم» يرقد بلا حركة. أخرج «أحمد» زجاجة صغيرة بها سائل شفَّاف، ثم فتحها ومرَّ بها أمام أنفه. بدأ «بالم» يُفيق، واستنشق نَفَسًا عميقًا. وضع له «أحمد» قليلًا من السائل الشفَّاف في فمه، فابتلعه. مرَّت لحظة، ثم فتح عينيه وهو ينظر في دهشة ويهمس: أين الوحش؟!

ابتسم «أحمد» وهو يقول: إنَّه يرقد هناك! ثم أشار إلى نقطة قريبة؛ حيث كان الكلب يتمدَّدُ على الأرض. قال «بالم» عندما رأى «خالد»: هل انضمَّ بقية الزُّملاء؟

ردَّ «خالد»: سوف ننضمُّ نحن إليهم.

وقف «بالم». كان لا يزال يشعر بالتعب، فقال: لقد كان ثقيلًا جدًّا!

ثم أخذ يشرح لهما كيف هاجمه الكلب فجأة، ودفعه على الأرض ثم رقد فوق صدره؛ بعدها لم يشعر بشيء!

تحرَّك الثلاثة في بُطء؛ فقد كان «بالم» يجرُّ رجليه، وكأنهما مربوطتان في حَجَر! شرح «خالد» لـ «أحمد» كيف تلقَّى الإشارة وعرَف أنَّه في مأزق، وقال في النهاية: إن بقية المجموعة قد تحرَّكت إلى النقطة «ل».

انحرفوا قليلًا عن طريقهم في اتِّجاه النقطة «ل»؛ حيث يوجد الشياطين وكابتن «م» و«بالم٢». قال «خالد»: ينبغي أن نخرج من الغابة. إنَّ على مشارفها تقع حقول العِنب في منطقة «بوردو»، وهي منطقة تُساعدنا كثيرًا؛ فأشجار العنب متشابكة بطريقة يمكن أن تفيدنا وتفيد حركتنا.

قال «أحمد» بعد قليل: إذا كانت العصابة تحاصر الغابة حصارًا كاملًا، وهذا ما أتوقَّعه، فإنَّ الخروج إلى منطقة «بوردو» سوف يكون صعبًا!

قال «خالد»: لكنَّها مسألة ضرورية؛ فهذا هو الحل الوحيد!

جاءت رسالة إلى «أحمد»؛ كانت الرسالة من «عثمان»، تقول: إن النقطة «ل» غير مأمونة، وهناك دوريات بحث حولها، وأنهم سوف ينتقلون إلى النقطة «ي»!

ردَّ «أحمد»: نحن في الطريق إليكم.

انحرفوا مرة أخرى، بعد أن نقل «أحمد» الرسالة إلى «خالد»، الذي نظر في ساعة يده وهو يقول: إنها تُشير إلى منتصف الليل الآن، وهذا يعني أن أمامنا وقتًا طيبًا لنخرج من الغابة.

مضت نصف ساعة؛ فجأة سمعوا أصوات أقدام تتحرَّك. نظر لهما «بالم»، وقال: إنهم عادوا مرَّة أخرى!

ابتسم «أحمد» و«خالد»، ولم يتوقَّفوا عن السَّير. كانت الأصوات تقترب أكثر، وإن كانت تبدو ضعيفة؛ فقد فهم «أحمد» أن هذه أصوات الشياطين؛ لأنهم يتجهون إلى نفس اتجاه النقطة «ي». فجأة توقَّفت الأصوات، وفجأة أيضًا جاءت رسالة: «بالم ٢» في خطر!

تلقَّى «أحمد» الرسالة، فشعر بالحزن؛ نقلها إلى «خالد» بلغة الشياطين وقال: ينبغي أن نخبر «بالم»؛ فهو وحده الذي يعرف متى يكون اختراعه في خطر!

نقل إلى دكتور «بالم» نص الرسالة التي وصلت. اتسعت عينا «بالم»، وهتف: أين هو؟

أسرعوا في اتجاه النقطة «ي». وعندما وصلوا إليها، كانت «إلهام» تحاول أن تفعل أيَّ شيء لـ «بالم ٢»، في الوقت الذي كان فيه «عثمان» و«باسم» وكابتن «م» لا يستطيعون عمل شيء.

أسرع دكتور «بالم» إلى اختراعه الذي كان مُمدَّدًا على الأرض. كان يتحسَّسُه في الظلام، وقال: أريد بعض الضوء.

نظر الشياطين إلى بعضهم. إنَّ أي ضوء الآن يمكن أن يكشف وجودهم وسط هذا الظلام، فقال «أحمد»: هل هي مسألة ضرورية؟

رد دكتور «بالم»: بالتأكيد، وإلا فإنه سوف يكون عبئًا علينا، فلن يتحرك!

مرت لحظة قبل أن يقترح «أحمد» عمل خيمة سريعة منهم، فلا يتسرب منها الضوء. وبسرعة التفُّوا حول دكتور «بالم» واختراعه الممدَّد على الأرض، والتصقت أجسادهم فيما يُشبه الجدار. كانوا يُكوِّنون حلقة كاملة، ثم أخرج «أحمد» مصباحًا صغيرًا قدَّمه لدكتور «بالم»، الذي أضاءه على نقطة مُعينة في جسم «بالم ٢»، ثم أخرج من جيبه آلةً دقيقةً في حجم دبُّوس الإبرة، ثم بدأ يعالج نقطة خاصَّة، وقال: إنَّها خلية إلكترونية قد خرجت من مكانها، ولا بُدَّ أنه اصطدم بشيء!

تذكر «أحمد» بسرعة المنظر الذي رآه لحظة نزول المظلَّات، وقال في نفسه: لعل «بالم٢» هو الذي سقط فوق الشجرة.

نظر إلى «خالد»، فهزَّ رأسه. لقد كان استنتاج «أحمد» صحيحًا. ظلَّ دكتور «بالم» يُعالج الخلية الإلكترونية. كان يبدو عليه الاهتمام. مرت الدقائق بطيئة قلقة. في النهاية قال: يجب استبدال الخليَّة الفاسدة، بخليَّة أخرى جديدة.

سكت لحظة، ثم قال: للأسف، إنني لا أحمل معي قطع غيار له!

همس «أحمد»: وكيف يمكن أن نحصل عليها؟!

فكَّر «بالم» قليلًا، ثم قال: من المدينة التي نسفناها!

قال «عثمان» بسرعة: ألا يمكن الحصول عليها من مكان آخر؟!

قال «بالم»: يمكن ... لكن كيف نستطيع الآن؟!

قالت «إلهام»: هل يمكن أن نُخفيَه في مكان حتى نحصل على قطعة الغيار هذه؟!

هزَّ «بالم» رأسه، وقال: نعم ... لكنَّنا لو فقدناه، فإن ذلك سوف يحتاج إلى عمل طويل حتى نستطيع تصنيع واحد آخر، فالنموذج الأول هو الأهم، بعدها يمكن تصنيع نماذج كثيرة وبسرعة.

لم يكن أحد يستطيع عمل شيء الآن. أطفأ «بالم» المصباح، واستغرق في التفكير. ورَغم الظلام، إلا أن الشياطين كانوا يرون ملامح وجهه التي يملؤها الحزن! همس «أحمد»: هل يمكن أن تكتب لنا أوصاف الخلية الإلكترونية التي تريدها؟!

نظر له «بالم» قليلًا، ثم قال: هل يوجد ...؟

وقبل أن يُكمل جملته، كان «باسم» قد قدَّم له ورقة وقلمًا. كتب «بالم» بعض المصطلحات العلميَّة، ثم قال: إن هناك شركة واحدة في أمريكا، هي شركة «فيوتشر إلِكْترونيك»، أو شركة «إلكترونيَّات المستقبل»، هي التي تقوم بتصنيع هذا النوع من الخلايا!

حمل الشياطين «بالم ٢»، الذي لم يكن ثقيلًا تمامًا، في نفس اللحظة التي اختفى فيها «أحمد»، وتحرَّك الآخرون في اتجاه مزارع العِنب، في محاولة للخروج من الغابة، لكن فجأةً تغيَّر كلُّ شيء؛ فقد نزلت طلقات الرصاص كالمطر من كل جانب!

العصابة تخطف دكتور «بالم»!

استلقى الشياطين على الأرض؛ حتى يتفادَوا طلقات الرصاص، وهمس «خالد»: لا داعي للاشتباك معهم؛ إنَّنا في موقف حرِج للغاية!

ظلَّ الشياطين في مكانهم، بعد لحظات، انضم «أحمد» إليهم، وهو يهمس لدكتور «بالم»: إن الخليَّة سوف تكون في الطريق إلينا بعد ثلاث ساعات.

نظر له «بالم» في دهشة، وكاد يفتح فمه ليتحدَّث، إلا أن «أحمد» أسرع يقول: لا داعي للدهشة ولا للسؤال؛ فيما بعد سوف تعرف كلَّ شيء.

نظر إلى «خالد»، وهمس: سوف أتقدم أنا و«باسم» في محاولة لمعرفة الطريق. يبدو أننا قريبون من نهاية الغابة.

زحف «أحمد» و«باسم» في اتجاه جانبي، بعيدًا عن طلقات الرصاص التي لم تتوقَّف. كان الظلام شديدًا، لكنهما استطاعا أن يتقدما دون عائق ما. مرت نصف ساعة، ثم بدأت رياح باردة تهُب. ملأ «أحمد» رئتيه، ثم همس: إننا نقترب من نهاية الغابة؛ إن هذا الهواء يعني أن جغرافية المكان قد تغيَّرت.

استمرَّا في زحفهما؛ كان «أحمد» يُفكر: هل تكون هذه المنطقة هي الوحيدة التي تركتها العصابة بلا حصار؟!

لكنه أجاب، بينه وبين نفسه، على السؤال: وقد يكون كمينًا يدفعوننا إليه دفعًا!

أشار إلى «باسم» أن يتوقَّف، ثم أخرج جهاز الرصد الذي يحمله؛ ضغط على أحد أزراره، ثم وجَّه الجهاز؛ لم تُضئ اللمبة التي تدل على وجود أجسام بشرية. قال في نفسه: إن الدائرة التي أمامنا تخلو من أي إنسان.

ظلَّا في تقدُّمهما، في نفس الوقت الذي ظل فيه الجهاز يعمل. ازدادت برودة الهواء؛ قال في نفسه: إننا نقترب أكثر.

فجأة أُضيئت لمبة الجهاز؛ همس: إن هناك أحدًا!

فكَّر «أحمد» قليلًا، ثم قال: ينبغي أن نتقدَّم بحذر؛ فقد نبدأ معركة ما!

تقدَّما أكثر؛ ظلَّت لمبة الجهاز مُضاءة. توقَّفا قليلًا يستمعان لأي أصوات يمكن أن تصل إليهما، إلا أنَّهما لم يسمعا شيئًا. ازدادت لمبة الجهاز اشتعالًا، فهمس: نحن نقترب منهم!

قال «باسم»: ربما يكون الموجودون من غير أعضاء العصابة!

ردَّ «أحمد»: لا أظن.

قال «باسم»: إذا كنَّا قد اقتربنا من نهاية الغابة، فهذا يعني أن منطقة مزارع العِنَب قد بدأت، وربَّما تكون هذه حراسة للمزارع.

لم يردَّ «أحمد»؛ لقد كان يُفكِّر: ربما يكون هذا الافتراض صحيحًا، لكنه في نفس الوقت ربما يكون غير صحيح.

تقدَّما خطوة واحدة، ثم انتظرا؛ تسمَّعا أكثر لأي صوت. فجأة مدَّ «باسم» يده، وضغط على يد «أحمد» ضغطات فهمها؛ فلم يكن الموقف يسمح حتى بالهمس. رد «أحمد» بضغطات مُماثلة على يد «باسم»؛ يردُّ بها عليه. أخذ يتسمَّع؛ سمع همسًا يتردَّد. كان اثنان يتحدَّثان، لكن «أحمد» و«باسم» لم يستطيعا فَهْمَ ما يقولان، غير أنَّهما عرفا في نفس الوقت أنهما اقتربا من بعض الرجال. فكَّر «أحمد» قليلًا، ثم تحدث إلى «باسم» بطريقة الضغط، قال له: سوف أُجرِي تجرِبة؛ حتى نتبيَّن ماذا هناك!

أخذ يتحسس الأرض، حتى وجد حجرًا صغيرًا؛ أمسك به، ثم طوحه بعيدًا، فاصطدم ببعض أغصان الأشجار. انطلقت طلقة في اتجاه صوت الأغصان، وسمعا مَن يقول: لقد تسرَّعتَ؛ يبدو أنَّها ثمرة ناضجة قد سقطت!

لم يردَّ صوت الرجل الآخر؛ عرف «أحمد» و«باسم» مكان المتحدِّث. قال «أحمد» بلغة الضغط: ينبغي أن نستمرَّ؛ يكفي أننا عرفنا المكان.

استمرَّا في تقدُّمهما في نفس الاتِّجاه. لمعت نقطة ضوء بعيدة، فلفت «أحمد» نظر «باسم» إليها. همس «باسم»: يبدو أننا في نهاية الغابة فعلًا، فهذه أضواء بيوت العُمال الذين يعملون في جمع العِنَب.

تقدَّما عدَّة أمتار أخرى، فأصبحا خارج الغابة. كانت مزارع العنب تمتد أمامهما بلا نهاية، وكانت تظهر واضحةً تحت وَقْع الضوء البعيد، الذي يصدُرُ من منازل العُمال. سأل «باسم»: هل نعود الآن؟! ...

فكَّر «أحمد» قليلًا، ثم ردَّ: نعم، ينبغي أن نعود. إن دكتور «بالم» و«بالم٢» يُمثِّلان مشكلةً للشياطين في تقدُّمهم. كذلك فإنَّ تقدُّمنا جميعًا قد يكشف وجودنا عندما نمرُّ بنفس المكان.

قال «باسم»: إذن ... فلنُغيِّر المكان.

ردَّ «أحمد»: إننا نحتاج إلى عملية استكشاف جديدة إذن!

لم يردَّ «باسم». كان الاثنان ينظران إلى مزارع العِنب، فقال «باسم»: إن وصول الخليَّة الإلكترونيَّة سوف يُثير مشكلةً. فمَن يقوم بتوصيلها قد يقع في أيدي العصابة.

قال «أحمد»: سوف يتَّصل بنا رقم «صفر»، عندما يتحرَّك مَن ينقلها إلينا؛ إن هذه ليست مشكلة.

صمت لحظة، ثم أضاف: إن مشكلتنا الرئيسية الآن، هي أن نتخلَّص من هذا الكمين الذي مَرَرنا عليه.

قال «باسم»: هل تعني أننا يجب أن نشتبك معه؛ حتى نتخلَّص منه؟!

قال «أحمد» وهو شارد: نعم ... هذا ما أعنيه فعلًا!

سكت قليلًا، ثم قال: إن الحُقَن المخدِّرة يمكن أن تُنهيَ المشكلة؛ فقط نحتاج إلى التحديد.

قال «باسم» بعد قليل: إن قنبلة غاز مُخدِّر يمكن أن تُنهي الموقف؛ لأنها تُغطِّي مساحة ليست صغيرة!

ردَّ «أحمد» بسرعة: نعم ... هذه فكرة طيبة!

تراجعا في اتجاه الكمين، ثم بدآ يتقدَّمان بحذر؛ حتى لا يصدُرَ عنهما أيُّ صوت، وعندما اقتربا من المكان، قال «باسم»: ينبغي أن تُكرِّر التجرِبة السابقة، في الوقت الذي أستعدُّ أنا فيه بالقنبلة!

أمسك «أحمد» بحجر، ثم طوَّحَ به بعيدًا، إلا أن صوتًا لم يصدُر من مكان الكمين.

همس «باسم»: لعله قد تعلَّم من المرَّة السابقة؛ يجب أن تُعيد التجرِبة مرَّة أخرى.

أمسك «أحمد» حجرًا آخر، ثم ألقى به قريبًا منهما، ومرَّة أخرى لم يصدُر أيُّ صوت، غير أنه لم تمُرَّ لحظة حتى دوَّت رصاصة في الصمت، ومرَّت بجوار «باسم» الذي ألقى بنفسه بعيدًا. لقد عرف الآن المكان؛ نزع فتيل القنبلة، ثم ألقى بها في نفس الاتِّجاه الذي انطلقت منه الرصاصة. قال واحد بصوت مسموع: هناك مَن يختفي أمامنا!

مرَّت لحظة، ثم بدا صوت سُعال واضح، أخذ يتزايد مع كلمات كانت تبدو واضحةً، وإن كانت مُتقطِّعة بتأثير السُّعال. كانت الكلمات: ما هذا؟ إن شيئًا قد سقط بجوارنا؛ هناك شيء غريب يحدث في المكان!

أخذت الكلمات تُبطئ، والسُّعال ينخفض، حتى توقَّف تمامًا، وهدأ كلُّ شيء. قال «باسم»: هذه فرصتنا لنتقدَّم؛ حتى لا يمرَّ الوقت.

قال «أحمد» في هدوء: ينبغي أن نتأكَّد؛ حتى لا نعود إلى صراع جديد.

تقدَّما في حذر في اتجاه القنبلة، غير أن «أحمد» أمسك بيد «باسم» فجأة، وقال: انتظر؛ هناك رسالة!

بدأ يتلقَّى الرسالة؛ كانت «إلهام» تقول: الموقف خطِر، ويمكن أن نفقد «بالم ١» و«بالم ٢»!

نقل «أحمد» الرسالة إلى «باسم»، الذي قال: من الضروري أن تنضمَّ إليهم!

بسرعة، تحرَّكا أكثر، حتى توقَّفا أمام ثلاثة في حالة نوم عميق. تعاونا في شدِّ وَثاقهم، ثم انطلقا في اتِّجاه الشياطين. لم تكن هناك أصوات تجذب سمعهم، ولذلك قال «باسم»: يبدو أن الصراع بالأيدي!

أسرعا أكثر، ثم فجأةً توقَّفا؛ فقد بدأت طلقات الرصاص. أخذا يتسمَّعان صوت الطلقات؛ ليُحدِّدا مكان الشياطين في الصِّراع. عرَفَا مكانهم، فاشتركا بسرعة.

أطلق «أحمد» دفعة طلقات من مُسدَّسه السريع، فهدأت طلقات الشياطين بعد أن عرفوا بانضمام «أحمد» و«باسم» إليهم ... ثم أطلق «أحمد» دفعةً أخرى بطريقة مُعينة، جعلت الشياطين يُكثِّفون طلقاتهم، لكن فجأة وصلت رسالة كانت «إلهام» تقول: لقد اختفى دكتور «بالم»!

كانت الرسالة مفاجأة لهما. هذا يعني أن صراعها في مغامرة «رجل المستقبل»، ثم هذه المغامرة، قد ضاع بلا نتيجة! قال «باسم» بعد أن سمع الرسالة من «أحمد»: نريد التفاصيل!

في نفس اللحظة أخرج قنبلة، ونزع فتيلها، ثم ألقاها بكلِّ قوَّته في اتجاه العصابة، ولم تمرَّ لحظة حتى دوَّى انفجار رهيب. أسرعا في اتِّجاه الشياطين، بعد أن توقَّفت طلقات رصاص العصابة.

كان «عثمان» و«كابتن م» و«إلهام» و«بالم ٢» معًا، ولم يكن «خالد» موجودًا. قال «عثمان»: إنَّ الشياطين قد اشتبكوا مع العصابة بالأيدي، وفجأة اختفى دكتور «بالم».

الملاحَظ من أن كميَّة النيران قد خفَّت بعد اختفائه، وهذا يعني أن «بالم» ربما قد وقع في أيدي العصابة، وأن بعضهم قد انسحب. في نفس الوقت، اختفى «خالد» أيضًا!

سأل «أحمد»: هل حدَّدتم اتجاه الانسحاب؟

قالت «إلهام»: لا ... وإن كان مفهومًا أنهم انسحبوا من نفس المكان الذي جاءت منه الطلقات!

بسرعة، حدَّدَ «أحمد» لهم كيف سيتقدَّمون داخل الغابة، في اتجاه مزارع العنب، وقال في النهاية: سوف أتقدَّم أنا و«باسم» للبحث عن «خالد». أما «بالم» فسوف يكون هدفنا النهائي.

في لحظة، كانا قد اختفيا من المكان. في نفس الوقت، أرسل «أحمد» رسالة إلى «خالد»: «حدِّد المكان؛ هل وجدتَ شيئًا؟»

وبسرعة جاءه الرد: «الخط «م ل»، النقطة «س ٢» «بالم» أسير في اتجاه المعسكر!»

أسرعا بعد تلقِّي الرسالة؛ فلقد أصبح اتجاههما الآن معسكر العصابة الذي يعرفه «أحمد» ... طال الطريق دون أن يظهر أحد، أو يُسمعَ صوت، غير أن حركة ما لفتت نظرهما، وجعلتهما يتوقفان. كان صوت أغصان تتحرك حركة غير عادية. همس «باسم»: قد يكون كمينًا.

إلا أن «أحمد» اقترب من مصدر الصوت، وقد شهر مُسدَّسه بينما كان يقف بجوار شجرة ضخمة. فجأةً دفعه «باسم» دفعة قوية جعلته يسقط على الأرض، في نفس اللحظة التي اصطدم فيها جسم معدني بساق الشجرة. فهم «أحمد» أن «باسم» قد أنقذه، وأن الجسم المعدني لم يكن سوى خنجر. الآن، انكشف الموقف ... فهناك من يختفي بين الأغصان! وفجأة دوَّت طلقة رصاص، إلا أنها كانت بلا هدف؛ فقد كان كل من «أحمد» و«باسم» يختفي خلف شجرة.

فكَّر «أحمد» لحظة، ثم بحث عن حجر، حتى وجده. انتقل من مكانه، ثم ألقى الحجر في اتجاه طلقة الرصاص، وغيَّر مكانه بسرعة. انطلقت عدَّة طلقات كشفت المكان تمامًا؛ فقد كان الضوء الذي يصدُر منها كافيًا لأن يُحدِّد لهما الهدف.

أرسل «أحمد» رسالة إلى «باسم» تقول: «الخُطَّة «د»!»

تحرك من مكانه في حذر، ثم دار نصف دورة حول المكان؛ اقترب في هدوء. في نفس الوقت، كان «باسم» يفعل نفس الشيء. جاءته رسالة من «خالد»، فعرف أنه قريب. ردَّ عليه بنفس الخُطَّة وحدَّد المكان. ركَّز بصره على نقطة مُحدَّدة، فكشف وجود ثلاثة. كان

اثنان يُمسكان المسدسات، أمَّا الثالث فقد كان يستند إلى شجرة دون أي حركة. اقترب في هدوء، حتى أصبح قريبًا منهم، بما يكفي لأن يبدأ المعركة. في لحظة سريعة، كان قد قفز قفزة قويَّة أعطته الفرصة لأن يضرب الاثنين معًا. وفي نفس الوقت، كان «باسم» يقفز قفزة أخرى فوق أحد الاثنين، وكان «خالد» قد انضمَّ إليهما ليقفز عند الثالث الذي يستند إلى الشجرة، وقبل أن يُسدِّد لكمة قوية له، اكتشف أنَّه دكتور «بالم»!

لم تمضِ لحظات حتى كان «أحمد» و«باسم» قد انتهيا من معركتهما، وأوثقا الرجلين، وأخفياهما وسَط نباتات كثيفة، وعندما اقتربا من «خالد» قال لهما بسرعة: ها هو صديقنا، دكتور «بالم»!

وكاد «أحمد» يقفز من الفرح. إنَّ اختفاء «بالم» لم يستمرَّ طويلًا، وهذه نتيجة لم يكن يتوقَّعُها. أرسل رسالة سريعة إلى الشياطين، فجاءه الرد: «نحن نقترب من نهاية الغابة، في نفس النقطة المحدَّدة!»

أرسل رسالةً أخرى يُحدِّد فيها مكان اللقاء. كان دكتور «بالم» يقف مُنهارًا تمامًا، فقد كانت الصراعات التي شهدها عنيفة بدرجة لم يكن يتصوَّرها. قال «أحمد»: ينبغي أن نتحرَّك بسرعة، فالخلية الإلكترونية سوف تصلنا بعد قليل.

كانت هذه الجملة كافية لأن ينظر إليه دكتور «بالم» في فرح وهو يقول: كيف حدث هذا؟!

ابتسم «أحمد»، وقال: أما زلتَ لا تثق في الأصدقاء؟!

قال «بالم» بفرح: بل إنني أثق كلَّ الثقة!

تحرَّك الأربعة في اتِّجاه الشياطين المعروف لديهم؛ كان تحركهم بطيئًا في البداية؛ لأنَّ «بالم» لم يكن قد استعاد كلَّ قوته بعدُ، لكن بعد قليل بدأ يَنشط، حتى إنه يكاد يجري. قال «باسم»: إنَّنا نصل إلى نهاية المغامرة!

لكنه لم يكد ينتهي من جملته، حتى كانت الأصوات تأتي من كل جانب. توقَّف «أحمد» في دهشة؛ إنَّها أصوات كلاب ورجال، وهي أصوات تدلُّ على أنهم بأعداد كبيرة! قال «خالد» مبتسمًا: لقد انتهى السلام!

لم يردَّ «باسم»، ظلوا في مكانهم. كان «بالم» قد بدأ يشعر بالتوتُّر، ونظر له «أحمد» مبتسمًا، وقال: سوف ينتهي كلُّ شيء، فلا تكن قلقًا!

تعالت الأصوات، واقتربت أكثر. كانت تأتي من كل اتجاه. قال «أحمد»: إنه حصار كامل؛ ينبغي أن نختفي.

نظر حوله، كانت هناك شجرة عتيقة ضخمة؛ أشار إليها وهو يقول: هذا هو ملجؤنا.

أسرعوا إلى الشجرة، وإن ظلَّ «أحمد» في المؤخرة. لقد كان يتصرَّف تصرُّفًا صحيحًا. أخرج زجاجة صغيرة، ثم أنزل منها نقطة ذات لون أخضر لها نفس رائحة النباتات، ثم أسرع إلى الشجرة. كانت نقطة السائل الخضراء قد انتشرت، عندما بدأ يصعد الشجرة، فأسقط نقطةً خضراء أخرى، وبدأ يتسلَّق خلف الشياطين، ومعهم دكتور «بالم»، الذين اختفوا بين الأغصان.

فجأة، ظهر رجال العصابة، ومعهم مجموعة من الكلاب الضخمة. كانت الكلاب تنبح بعنف؛ همس الدكتور «بالم»: إنَّها سوف تشمُّ رائحتنا، وتكشف مكاننا!

ابتسم «أحمد»، وقال: لا تخشَ شيئًا؛ إنها لا تستطيع أن تكتشف مكاننا؛ فقد ضاع كلُّ أثر لنا!

توقف رجال العصابة حول شجرة الشياطين. كانوا يتحدثون جميعًا في وقت واحد، في نفس الوقت الذي كانت الكلاب لا تتوقَّف عن النُّباح، وكان الشياطين يرونهم. سمعوا أحدهم يقول بصوت مرتفع: لا يمكن أن نتحدَّث جميعًا في وقت واحد؛ توقَّفوا عن الكلام! ثم أضاف: لا أظنُّ أن الأرض قد ابتلعتهم؛ لقد أخبرونا بمكانهم!

ردَّ آخر: ربما يكونون قد سلكوا طريقًا آخر.

ردَّ الأوَّل: لا أظنُّ؛ لأنهم حدَّدوا المنطقة!

قال ثالث: لو أنَّهم موجودون هنا، لكانت الكلاب قد كشفت وجودهم!

ظلُّوا واقفين لا يتحرَّكون، حتى قال واحد: ينبغي أن نترك حراسةً هنا، ونتقدَّم نحن في داخل المنطقة.

نظر الشياطين إلى بعضهم؛ حدَّد قائد رجال العصابة أربعة من الرجال وكلبين، ثم تحرَّك الباقون.

ظل الشياطين في مكانهم حتى اختفى الآخرون. تحدَّث «أحمد» بلغة اللمس فقال: ينبغي أن ننتهي منهم.

أعطى إشارة فهمها «خالد» و«باسم». وفي لحظة كانت الإبَر المخدِّرة تخرج من فُوَّهات المسدَّسات، ليسقط ثلاثة منهم. نظر الرابع حوله في دهشة، إلا أن نظرته لم تستمرَّ؛ فقد كانت إبرة رابعة قد خرجت لتأخذ مكانها في صدره، فسقط هو الآخر. نبحت الكلاب في عنف، لكن الإبَر المخدِّرة كانت هي السلاح المناسب لينتهي كل شيء، ولترقد الكلاب بجوار رجال العصابة. وفي لمح البصر كانوا ينزلون، بين دهشة دكتور «بالم» الذي لم ينطق. وبسرعة كانوا يقطعون الغابة إلى نقطة اللقاء.

وهناك، كان أحد عملاء رقم «صفر» يقف بين الشياطين، وما إن رأى «أحمد» حتى قدَّم إليه علبة صغيرة الحجم. فتحها «أحمد»، ثم قدَّمها إلى دكتور «بالم» الذي نظر إليها في دهشة، وهو يتأمَّل الخلية الإلكترونية الدقيقة.

كان «بالم ٢» يرقد مُمَدَّدًا على الأرض، فأسرع دكتور «بالم» إليه، وبدأ في وضع الخلية في مكانها، فأخذ «بالم ٢» يتحرَّك. وعندما وقف، كان على الشياطين أن يُغادروا المكان، وبسرعة أخذوا طريقهم إلى مزارع العِنب، التي لم تكن تبعد عن نهاية الغابة سوى أمتار قليلة. وفي دقائق كانوا قد اختفوا داخل شجرات العِنَب.

هنـــداوي